السَّيَّدُ المَسِيحُ - عَلَيهِ السَّلامُ - فِي الفِكرِ الإِسلَامِي

د٠ كريم نجم خضر
استاذ مساعد
كلية التربية – جامعة كركوك

ملخص البحث

إن البحث الموسوم " السيد المسيح - عليه السلام - في الفكر الاسلامي " يتناول بدقة حياة سيدنا المسيح - عليه السلام - وما يتعلق به قبل ، الولادة وتكفل زكريا - عليه السلام - لأُمه ونشأته وتطور حياته ، مع أن حياته عليه السلام يسودها نوع من الغموض في الأناجيل والإِجمال في القرآن الكريم ، وأن حياته أختلفت وتميزت عن حياة الانبياء الآخرين حيث كانت كلها معجزات ، من استقراره في رحم أمه مريم وولادته وطفولته وشبابه وشدته حتى رفعه الى السماء ٠ أما في الفكر الاسلامي فهو كغيره من الأنبياء والمرسلين ،هو عبد الله ورسوله أرسله الله إلى بني اسرائيل وأيده بالمعجزات الباهرات لتكون دليلاً على صدق دعواه ، إلا أن اليهود لما رأوا رسالته لم تتوافق مع طموحاتهم ، ومع ما كانوا يزعمون من مجيء ملك يقهر له الأعداء فكان عكس توقعهم نبي يقول = من ضربك بخدك الأيمن فأدره له الأيسر= ويقول = حبوا أعدائكم =. قاوموا دعوته بشدة ، وناصـروا من عاداه حتى حاولوا قتله وصلبه إِلا أن الله خلَصه من مؤامراتهم .

وقد تناول البحث دراسة ولادته وكفالة زكريا لأُمه - عليها السلام - ومشكلات السيدة مريم بعد الحمل ، ونشأة عيسى - عليه السلام - والتطورات التي طرأت على حياته ونبوته ومعجزاته ، ودعوته للحواريين ثم نهايته على الارض ، ورفعه الى السماء ثم نفي الإلوهية عنه ، وحقيقة نزوله إلى الأرض ومهمته عند ذلك .

المقدمة

الحمـد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن الله أنزل على الأنبياء الكتب ، وأمدهم بالمعجزات القاهرة ، وذلك برهاناً على صدق دعواهم ، وكانت كل معجزة تتلائم مع تلك البيئة والظروف والشيء المشاع بين الأقوام آنذاك لذا كانت معجزة عيسى - عليه السلام - في الطب والحكمة لشيوعها بين الناس في ذلك الوقت ، وقد كانت معجزاته تتفق مع طبيعة مولده فكانت ترمي إلى إحياء الناحية الروحية وإقامة الدليل على وجود الروح إلا أن شيوع فكرة الطب بينهم قد يكون فيه نظر، لأنه ما أخرجهم من مصر إلا الوباء المميت آنذاك وأن حياة عيسى - عليه السلام - تختلف عن حياة الانبياء الآخرين ، حيث كانت كلها معجزة ، فولادته وطفولته وشبابه وشدته كلها معجزة حتى رفعه الى السماء كان معجزة ، على الرغم من ذلك فإن حياته تسودها نوع من الغموض ، حتى الاناجيل لم تتكلم في شأن حياته بشيء من الاسهاب ، وكذلك القرآن الكريم إذ أوجز العبارات أشد الإِيجاز في شأن حياتهِ ، وعيسى - عليه السلام - في فكر الاسلام كغيره من الأنبياء والمرسلين هو عبد الله ورسوله أرسله إلى بني اسرائيل وأيده بالمعجزات الباهرة الغريبة لتكون دليلاً على صدق دعواه ، ونشأ عيسى كما ينشأ غيره من الأنبياء والمرسلين ، وكانت العناية الربانية تحرس عليه ، وكانت عائلته عائلةً قانتة عابدة ، وقد وصف الله مريم - عليها السلام – بالصديقة ، وبأنها كانت من العابدات والقانتات ، إلا أن اليهود لما رأوا رسالة المسيح لم تتوافق مع ما كانوا يزعمون من مجيء ملك يقهر له الأعداء قاوموا دعوته ، وناصروا من عاداه حتى حاولوا قتله وصلبه إلا أن الله نجاه من تلك المؤامرة .

وقد جاء البحث مشتملاً على مقدمة ومبحثين وخاتمة ففي المبحث الاول تكلمت عن السيد المسيح ونبوته في الاسلام ،وفيه خمسة مطالب .

المطلب الأول : ولادته وكفالة زكريا لأمه - عليها السلام - .

المطلب الثاني : مشكلات السيدة مريم بعد الحمل .

المطلب الثالث : نشأة عيسى (عليه السلام) وتطور حياته .

المطلب الرابع : نبوة عيسى (عليه السلام) ومعجزاته .

المطلب الخامس : عيسى (عليه السلام) ودعوته للحواريين .

اما المبحث الثاني : فتكلم عن نهاية المسيح في الأرض ، ونفي الألوهية عنه في الإسلام ، وفيه أربعة مطالب .

المطلب الأول:التأمر على المسيح - عليه السلام - ونهايته على الارض .

المطلب الثاني : فصل المقال في حقيقة رفعه ونزوله - عليه السلام - .

المطلب الثالث : شخصية المسيح في الاسلام .

المطلب الرابع : عيسى - عليه السلام - ومهمته في الأرض بعد نزوله .

المبحث الأول : السيد المسيح ونبوته في الإسلام .

المطلب الأول : ولادته وكفالة زكريا لأمهِ - عليهما السلام - .

قبل الدخول في صلب موضوعنا من الضروري أن نبين معاني الروح ومعنى النفخ انطلاقاً من قوله تعالى : { فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا }[١] ، وردت لفظة (الروح) في القرآن الكريم بمعان ثلاثة وهي :

١- **بمعنى جبريل ، قال تعالى : -**

١- { وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ }[٢] .

٢- { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً }[٣] .

٣- {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ }[٤] .

٤- {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ }[٥]

٥- {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا}[٦]

٢- بمعنى الوحي بوجه عام أو القرآن بوجه خاص ، قال تعالى :

١- {يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ }[٧]

٢- { يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ }[٨]

٣- {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا }[٩]

٣- بمعنى القوة التي تحدث الحياة في الكائنات ، قال تعالى :

١- {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}[١٠]

٢- { إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ }[١١]

٣- { إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ }[١٢]

٤- {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا}[١٣]

٥- {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا }[١٤]

وقد اختص الله تعالى بهذه القوة بمعرفة كنهها التي تحدث الحياة في الكائن هي من علم الله تعالى لأنه الوحيد الذي يمنحها ، فتدب الحياة أو يأخذها فتصبح الاجسام هامدة ، ومنه جاء{ ونَفَخْ فِيهَا مِن رُّوحِه} أي : أودعه القوة التي لا يعرفها ولا يسيطر عليها سواه ، فجاء آدم ، وكذلك ما أودعه في رحم مريم العذراء من القوة التي تخلق الكائن الحي في رحم السيدة العذراء فجاء السيد

المسيح [١٥] . ومن هنا تجي الآية الكريمة {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ }[١٦] .

والنفخ كما يقول الباحثون الاسلاميون هو: تحصيل آثار الروح أي أن تدب الحياة ،ويقولون إن منح الله القوة في كل الأرحام ضروري للحمل والحياة ، وأن كثيراً من الأزواج يلتقون بأزواجهم ، ولا يحصل حمل مدة من الزمن ، لأن الله سبحانه لم يمنح هذه القوة التي يبدأ بها الحمل أو تبدأ بها الحياة ، ثم يقضي الله عندما يشاء فيمنح هذه القوة ويبدأ الحمل ، ومعنى هذا أن نفخ الروح في الأرحام ضروري لكل البشر ، إذاً فالنفخ هو تسليط الإرادة بالحياة بالبعث يوم القيامة .

وكلمات المفسرين التفصيلية : هي أن أصل النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كانت الروح تتعلق أولاً بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ، وتفيض به القوة الحيوية فيسري حاملاً لها في تجويف الشرايين إلى أعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخاً ، والمقصود تعلق الإرادة على كل حال ، ولهذا فحالة عيسى في النفخ على نمط خلق آدم الطائر من الطين ، وذلك لدقة الصلة بين الحالتين [١٧] .

وللوقوف على ولادة المسيح - عليه السلام - علينا أن نرجع الى قصة زكريا ومريم بنت عمران ، لتكون الصورة واضحة عندنا بأن مريم كانت من القانتات والعابدات تهدف الى تحقيق براءتها من التهمة الشنيعة التي التصقت بها بهتاناً وزوراً ، فقال تعالى : وهو اصدق القائلين { إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ *فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ *فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }[١٨] .

وهذه الايات واضحة الدلالة على اصطفاء الله تعالى لآدمَ - عليه السلام - والخلص من ذريته المتبعين شرعه الملازمين طاعته ، ثم خصص فقال : { وَآل ابراهيم} فدخل فيهم بنو اسماعيل ، ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب ، وهم آل عمران ، والمراد بعمران هذا والد مريم - عليها السلام- ولا خلاف أنها أي مريم من سلالة داود - عليه السلامَ - وكان أبوها عمران كما أشرنا إليه وهو صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه ، وكانت أمها وهي حنة بنت فاقود من العابدات ، وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم ((إيشاع)) على قول الجمهور ، وقيل : زوج خالتها ((إيشاع)) فالله أعلم [١٩] .

واختار الميداني ان ((حنة)) و ((إيشاع)) عند أهل الكتاب أختان ، أما حنة : فكانت زوجة عمران ، وكانت من العابدات ، وكانت لا تحمل ، وأما إيشاع ((اليصابات)) فكانت زوجة زكريا عليه السلام ، وكانت عاقراً لا تلد [٢٠] .

وهكذا بدأت ولادة مريم تشرق في الكون كما تحدثت الآية السابقة بذلك الدعاء الذي استجاب الله لـ ((عمران وحنة)) بعد أن لبثت حنة ثلاثين سنة لا تحمل فرأت يوماً طائراً يزق فرخاً له فأشتهت الولد فنذرت لله إن حملت لتجعلن ولدها محرراً أي حبيساً في خدمة بيت المقدس ، وكانت ترجو أن يكون ذكراً كما تقتضيه كيفية الخدمة للبيت المقدس دون الأنثى ، ولكن الله يفعل ما يشاء لحكمة يقتضيها ، فإذا بالحيض تصيبها من فورها فلما طهرت أصابها زوجها فحملت بمريم عليها السلام { فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى } أي في خدمة بيت المقدس ، وكانوا في ذلك الزمان ينذرون لبيت المقدس تسمية المولود يوم يولد [٢١] ، وكما ثبت في الصحيحين عن أنس في ذهابه بأخيه الى رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) فحنك أخاه وسماه عبد الله [٢٢] .

وهكذا حملت ابنتها مريم ، وقدمتها الى بيت المقدس ، تنفيذاً لنذرها ودفعتها إلى العباد والربانيين فيه ، وقولها : { وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } قد استجيب لها في هذا كما تقبل منها نذرها .

عن أبي هريرة ، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ((ما من مولود إلا والشيطان يمسه حيث يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم وابنها)) ثم يقول أبو هريرة : واقرؤا إن شئتم{ وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } [٢٣] .

وقوله تعالى : {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا } ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لّفتها في خروقها، ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد الذي هم مقيمون به ، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم وكاهنهم الأكبر ، والظاهر أنها إنما سلمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها ، ويظهر أن عمران أباها كان قد توفي في هذه الأثناء – وأصر زكريا - عليه السلام - زوج خالتها – على أن يكفلها هو ، وكان زكريا نبيهم في ذلك الزمان ، فتنازعوا فيما بينهم وحصل الخصام في أيهم يكفل مريم – واحتكموا إلى القرعة ، فساعدته المقادير فخرجت قرعته غالبة لهم فكانت من حظ زكريا وزوجتها ، وذلك أن الخالة بمنزلة الام[٢٤] .

وهكذا بدأت الكفالة لهم بعد الاحتكام إلى القرعة فقال تعالى : { وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا } كما قال تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ }(٢٥) .

لقد شبت وترعرعت مريم في بيئة عبادة وتقوى داخل بيت المقدس واكرمها الله بكرامات عديدة والذي عليه المفسرون أن زكريا اتخذ لها مكاناً شريفاً في المسجد لا يدخله سواها ، فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت اذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل ، واشتهرت بما ظهر عليها من الاحوال الكريمة والصفات الشريفة حتى إنه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقاً غريباً في غير أوانه ، وكان ذلك من كراماتها ، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها { أنى لك هذا } فتقول : { هو من عنـد الله } أي رزق رزقه الله تعالى { إن الله يرزق من يشاء بغير حساب } فعند ذلك وهنالك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه وإن كان قد أسن وكبر حتى قال بعضهم إنه كان يقول : يا من يرزق مريم الثمر في غير أوانه هيء لـي ولداً وإن كان في غير أوانه . فقال تعالى : { قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء }(٢٦) .

ثم يذكر تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها ، بأن اختارها لإيجاد ولد منها من غير أب وبشرت بأن يكون نبياً شريفاً {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِـي الْمَهْدِ }أي في صغره يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وكذلك في حال كهولته ، فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو الله فيها(٢٧) وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع لتكون أهلاً لهذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة ، فيقال : إنها كانت تقوم في الصلاة حتى تفطرت قدماها – رضي الله عنها ورحمها ورحم أمها وأباها (٢٨) .

فقال تعالى : {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ } أي إختارك واجتباك لإيجاد ولد منها من غير أب {وَطَهَّرَكِ }أي من الأخلاق الرذيلة وإعطاءِ الصفات الجميلة {وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ } بهذا الفضل والكرم الذي أعطاك الله بواسطة ميلاد المسيح - عليه السلام - دون النظر فيما سيقال لك بسبب هذه الواقعة الخارقة غير المألوفة لدى الناس ، ولهذا كانت الملائكة تأتي إلى مريم وتخبرها بان الله تعالى طهرها واصطفاها على نساء العالمين ، وهكذا ترعرعت ونشأت مريم في بيت طهر وعفاف ، محروسة بعناية الله تعالى ، حتى إذا بلغت مبلغ النساء ، وبينما هي في خلوتها إذا بالملك جبريل تمثل لها بشراً سويا ، فذعرت منه (٢٩) .

المطلب الثاني:مشكلات السيدة مريم بعد الحمل

بدأت فكرة الولد من غير أب تأخذ من مريم مأخذ العجب ، وحق لها التعجب من ذلك ، (لأنها لا زوج لها ، ولا هي ممن تتزوج فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول : له كن فيكون ، فاستكانت لذلك وأنابت وسلمت لأمر الله ، وعلمت ان هذا فيه محنة عظيمة لها فإن الناس يتكلمون فيها بسببه ، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر ، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل ، وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حيضها أو لحاجة ضرورية لا بد منها ، من استقاء ماء أو تحصيل غذاء فبينما هي يوماً قد خرجت لبعض شؤونها { انتَبَذَتْ } أي انفردت وحدها شرقي المسجد الأقصى ، فلما رأته {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً } فقال لها جبريل : {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً } أي إنما أنا رسول ربك ، ولست ببشر، ولكني ملك بعثني الله تعالى إليك { لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً } {قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً}[٣٠] أي ولست ذات زوج ولا أنا ممن يفعل الفاحشة) [٣١] .

وبهذه المعجزة الإلهية بدأ ذكر ميلاد العبد الرسول عيسى ابن مريم العذراء البتول بنت عمران [٣٢] .

قال جبريل : {قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ } أي فأجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها والحالة هذه قائلاً :{ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ } أي وهذا سهل عليه ويسير لديه فإنه على ما يشاء قدير { وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ } أي ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلاً على كمال قدرتنا على أنواع الخلق ، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى وقوله : { وَرَحْمَةً مِّنَّا } أي نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله تعالى في صغره وكبره في طفولته وكهولته ، بأن يفردوا الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه عن اتخاذ الولد والزوجة وغير ذلك .

(فذكر غير واحد من السلف أن جبريل نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها)[٣٣] .

ولهذا قال تعالى : { فَحَمَلَتْهُ } أي فحملت ولدها { فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً } وذلك ،لان مريم - عليها السلام - لما حملت ضاقت به ذرعاً وعلمت أن كثيراً من الناس سيكون منهم كلام في حقها ، فذكر غير واحد من السلف ، منهم وهب بن منبه أنها ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عباد بني اسرائيل يقال له : ((يوسف بن يعقوب النجار)) وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً ، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها ، وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج ، فعرض لها ذات يوم في الكلام فقال : يا مريم هل

زَرعُ من غير بذر ؟ قالت : نعم ،فمن خلق الزرع الاول ثم قال ، فهل يكون ولدٌ من غير ذكر ؟ قالت نعم ، إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى قال لها فاخبرني خبرك ، فقالت ، إن الله بشرني [٤٣] { بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ *وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ }[٣٥] .

فلما علم يوسف النجار بذلك ساعدها ، ولم يتركها لأنها كانت من أقاربه ولما عرف من شرفها ودينها وسافرت مريم - عليها السلام - وهي حبلى ومعها يوسف النجار ، من الناصرة إلى بيت لحم إحدى مدن الجليل ، لانها كانت مدينتها ولما بلغا بيت لحم لم يجد فيها مأوى إذ كانت المدينة صغيرة ، وجماهير الغرباء كثيرة ، فنزلا خارج المدينة في مكان متخذ مأوى للرعاة ، فقال تعالى : {فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً }[٣٦] ، وفي هذه الأثناء ، أتمت مريم أيام حملها وهي في بيت لحم ، فجاءها المخاض الى جذع نخلة يابسة [٣٧] .

واتهمها بعض الزنادقة بيوسفَ الذي كان يتعبد معها في المسجد ، وتوارت عنهم مريم واعتزلهم وانتبذت مكاناً قصيا {فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ } أي فألجأها واضطرها الطلق الى جذع النخلة ، ببيت لحم الذي بنى عليه ملوك الروم{ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً } فيه دليل على جواز تمني الموت عند الفتن ، وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها ، مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات في المسجد المنقطعات إليه المعتكفات فيه ، ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسب ذلك من الهم ما تمنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال او كانت{ نَسْياً مَّنسِيّاً }أي لم تخلق بالكلية[٣٨].

وقوله : {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا } أي وليدها عيسى كما اختاره ابن جرير أو الملك الذي رعى ولادتها وهو جبريل كما روى ذلك ابن عباس والثاني اولى بالاتباع ، وقوله{أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } قيل : أنهر وإليه ذهب الجمهور ، وقوله تعالى : {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً } .

وهذا من تمام الكلام الذي ناداها من تحتها ، أي فان رأيت أحدا من الناس فقولي لهم بلسان الحال والاشارة : إني نذرت للرحمن صمتا ، وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام ، ويدل على ذلك قوله : { فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً }فأما في شريعتنا فيكره للصائم صمت يوم إلى الليل .

فالنخلة لم تكن مثمرة إذ ذاك ،لأن ميلاده كان من زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمره ، وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان {تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً

جَنِيّاً } قالوا: وكان ميلاد عيسى - عليه السلام - يوم الثلاثاء (٢٤) من كانون الاول [٣٩] .

وقوله تعالى : {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً *يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً }وسياق الآية تدل على أنها حملته بنفسها واتى بها قومها وهي تحمله قال ابن عباس : وذلك بعد ما تعلت من نفاسها بعد اربعين يوماً والفرية الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال[٤٠] .

(ومع هذا الاصطفاء الالهي والتطهر المدبر له ، ومع آيات الاعجاز امام قوم مريم فقد اتهموها بالزنا ، ويوحي الله سبحانه الى مريم ألا تردِّ على اتهامات المتهمين لأنه سينطق لهم عيسى الرضيع وما ينطق هو تحديد رسالته المستقبلية وجوهرها الذي هو جوهر رسالات السماء) [٤١] .

(والمقصود أنهم قالوا : { يَا أُخْتَ هَارُونَ } على أنها قد كان لها اخ نسبي اسمه هارون وكان مشهوراً بالدين والصلاح والخير وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) العلة في اختيارهم أسماء الانبياء في حديث عن المغيرة بن شعبة قال : ((بعثني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى نجران فقالوا : أرأيت ما تقرأون { يَا أُخْتَ هَارُونَ } وموسى قيل عيسى بكذا وكذا ؟ قال:فرجعت فذكرت ذلك لرسول(صلى الله عليه وسلم) فقال : ((ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء الصالحين قبلهم)) وفي رواية ((ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بأسماء صالحيهم وأنبيائهم)) [٤٢] ولهذا قالوا : { مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً} أي لستِ من بيت هذا شيمتهم ولا سجيتهم لا أخوك ولا أمك ولا أبوك فاتهموها بالفاحشة العظمى ألا وهي الزنا .

فلما ضاق الحال وانحصر المجال وامتنع المقال ، عظم التوكل على ذي الجلال ولم يبق إلا الإخلاص والاتكال {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ } أي خاطبوه وكلموه فإن جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه فعندها { قالوا } من كان منهم جباراً شقيا {كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً} أي كيف تحيلنا في الجواب على صبي صغير لا يعقل الخطاب وهو مع ذلك رضيع في مهده [٤٣] .

فعندها{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً *وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً }[٤٤] .

وهكذا هي (لائذة بالصمت ، نـاذرة للرحمن صوماً عن الكلام ، أشارت إلى طفلها الصغير ليجيبهم عنها ويبرئ ساحتها مما اتهموها به . الصبي الصغير – المسيح عيسى عليه السلام – يُنطقه الله تعالى ، فيثبت براءة أمه ، إذ يعلن عن نبوته الآتية ورسالته المقبلة ، ويدلهم على أن من خرق العادة فانطقه في طفولته قادر على أن يخرق فيخلقه في رحم أمه دون أن يمسسها بشر) [٤٥] .

وهذا أول كلام تفوه به عيسى ابن مريم ، فكان أول ما تكلم به أن {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ} اعترف لربِّه تعالى بالعبودية ، وأن الله ربِّه ، فنزه الله تعالى عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله ، بل هو عبده ورسوله وابن أمته ، ثم برأ أمه مما نسبها إليه الجاهلون وقذفوها ورموها بسببه بقوله : {آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً } فإن الله لا يعطي النبوة من هو كما زعموا – لعنهم الله وقبحهم – كما قال تعالى : {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً } (٤٦) وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا: إنها حملت به من زنا في زمن الحيض ، فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة وأتخذ ولدها نبياً مرسلاً أحد أولي العزم الخمسة الكبار .

ولهذا قال : {وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ }، وذلك أنه حيث كان دعا الى عبادة الله وحده لا شريك له ونزه الله تعالى عن النقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدس {وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً} .

وهذه وظيفة العبيد في القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة والإحسان إلى الخليقة بالزكاة ، وهي تشتمل على طهارة النفوس من الأخلاق الرذيلة وتطهير الأموال الجزيلة بالعطية للمحاويج على اختلاف الأصناف والنفقات على الزوجات والأيتام والقرابات ، وسائر وجوه الطاعات وأنواع القربات وجعلني برّا بوالدتي وذلك أنه تأكد حقها عليه لتمحض جهتها إذ لا والد له سواها ، فسبحان من خلق الخليقة وبرأها وأعطى كل نفس هداها ، مع ذلك لست بفظ ولا غليظ ، ولا يصدر مني قول ولا فعل ينافي امر الله وطاعته .

ثم لما ذكر تعالى قصته على الجلية وبين أمره ووضحه وشرحه قال : {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ *مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ }(٤٧) ، كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره في سورة آل عمران : {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ }(٤٨) .

حيث بين أمر المسيح بأنه عبد مخلوق من امرأة من عباد الله ، ولهذا قال : {مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ } لا يعجزه شيء ولا يكترثه ولا يؤوده بل هو القدير الفعال لما يشاء .

وقوله : {وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ }(٤٩) وهو من تمام كلام عيسى لهم في المهد ، أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلهه وإلههم ، وأن هذا هو الصراط المستقيم (٥٠) (٥١) .

المطلب الثالث : نشأة عيسى - عليه السلام - والتطورات التي رافقت حياته .

تقدم الكلام بأنه ولد ببيت لحم قريباً من البيت المقدس كما هو الشائع في فكرة الاسلام ، خلافاً لوهب بن منبه الذي ادعى أنه ولد بمصر .

وذكر وهب بن منبه أنه لما ولد خرَّت الاصنام يومئذ في مشارق الارض ومغاربها وأن الشياطين حارت في سبب ذلك حتى كشف لهم إبليس الكبير أمر عيسى فوجدوه في جحر أمه والملائكة محدقة به ، وأنه ظهر نجم عظيم في السماء ،وأن مِلك الفرس أشفق من ظهوره فسأل الكهنة عن ذلك فقالوا : هو لمولد عظيم في الارض ، فبعث رسله ومعهم ذهب ومرو لبان هدية إلى عيسى ، فلما قدموا الشام سألهم ملكها عما أقدمهم فذكروا له ذلك فسأل عن ذلك الوقت فإذا قد ولد فيه عيسى ابن مريم ببيت المقدس .

واشتهر أمره بسبب كلامه في المهد فأرسلهم إليه بما معهم وأرسل معهم من يعرفه له ليتوصل إلى قتله اذا انصرفوا عنه ، فلما وصلوا إلى مريم بالهدايا ورجعوا قيل لها : إن رسل ملك الشام إنما جاءوا ليقتلوا ولدك فاحتملته وذهبت به إلى مصر ، فاقامت به حتى بلغ عمره أثنتي عشرة سنة وظهرت عليه كرامات ومعجزات في حال صغره ، فذكر منها أن الدهقان الذي نزلوا عنده افتقد مالاً في داره وكانت داره لا يسكنها إلا الفقراء و الضعفاء والمحاويج فلم يدر من أخذها ، وعز ذلك على مريم - عليها السلام - وشق على الناس وعلى رب المنزل وأعياهم أمرها ، فلما رأى عيسى - عليه السلام - ذلك عمد إلى رجل أعمى وآخر مقعد من جملة من هو منقطع إليه ، فقال للأعمى : احمل هذا المقعد وانهض به ، فقال : إني لا استطيع ذلك ، فقال : بلى كما فعلت أنت وهو حين أخذتما هذا المال من تلك الكوة من الدار ، فلما قال ذلك صدقاه فيما قال ، وأتيا فعظم عيسى في أعين الناس وهو صغير جداً .

ومن ذلك أن ابن الدهقان عمل ضيافة للناس بسبب طهور أولاده فلما اجتمع الناس وأطعمهم ثم أراد أن يسقيهم شراباً – يعني خمراً – كما كانوا يصنعون في ذلك الزمان لم يجد في جراره شيئاً فشق ذلك عليه ، فلما رأى عيسى ذلك منه قام فجعل يمر على تلك الجرار ويمر يده على أفواهها فلا يفعل بجرة منها ذلك إلا امتلأت شراباً من خيار الشراب ، فتعجب الناس من ذلك جداً وعظموه وعرضوا عليه وعلى أمه مالاً جزيلاً فلم يقبلاه وارتحلا قاصدين بيت المقدس (٥٢) .

وحينما عظم أمر عيسى وفشا خبره بين العامة والخاصة نقم عليه اليهود فهموا به ، فخافت عليه أمه فأوحى الله إلى أمه وحياً إلهاميا أن تنطلق به إلى أرض مصر ، فذلك قوله تعالى : {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ }(٥٣) وهذا زعم زعمه أهل الكتاب والذي عليه المفسرون أنها

ربوة وهو المكان المرتفع من الارض الذي أعلاه مستو يقر عليه وارتفاعه متسع ، ومع علوه فيه عيون الماء المعين ، وهو الجاري السارح على وجه الارض فقيل : المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح وهو نخلة بيت المقدس ، ولهذا {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً } وهو النهر الصغير في قول جمهور السلف [٥٤] .

والخلاف حاصل في الآية ونحن رجحنا ما ذهب اليه جمهور السلف ، وبعد ما خافت عليه أمه من اليهود انطلق به إلى مصر قال وهب بن منبه : إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله تعالى أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا قال : فقدم عليه يوسف ابن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما الى إيليا وأقام بها حتى أحدث إليه له الانجيل ، وعلمه التوراة ،وأعطاه معجزة احياء الموتى ، وابراء الاسقام ، والعلم بالغيوب ، مما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقدومه ، وفزعوا لما كان يأتي من العجائب فجعلوا يعجبون منه فدعاهم إلى الله تعالى ففشا فيهم أمره [٥٥] .

وعلى الرغم من ذلك ليس لدينا من المعلومات الكافية عن نشأة عيسى حتى الاناجيل أوجزت الكلام حول مولده ودعوته (وقد نشأ – فيما يبدو – كما ينشأ الصبيان في عهده وكان ينتقل مع أمه بين الناصرة وبيت المقدس وامتاز بذكاء وعمق ، فلم يكن يهتم بمظاهر الاشياء بل كان يغوص في أعماقها وكان يسمع المدرسين والحكماء ، فلا يسلم بما يقولون به ، بل يناقشهم كلما رأى في كلامهم غموضاً او ألغازاً مما تعود سواه أن يقبلها دون تفسير او نقاش ، وقد ألم بالتوراة ونال في العلم قسطاً كبيراً ، وساءهُ ما آلت اليه حالة قومه من بني إسرائيل من ضلال وعمى) [٥٦] .

<u>المطلب الرابع : نبوة عيسى ومعجزاته :</u>

حينما رجع عيسى مع أمه إلى إيليا واختلط مع الناس كانت حياته مرهونة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته ، ولما بلغ من العمر ثلاثين سنة أيده الله بالوحي والرسالة كسائر الأنبياء الذين كانوا من قبله لمهمة تقتضيه حكمته العالية ، وكان لب دعوته تدور حول التبشير بالروح ، وهجر الملاذ الضالة ، وتجريد الذات لله عز وجل ، وأيده الله عز وجل بمعجزاته الخارقة للعادة ذكرها القرآن الكريم في الآيات الآتية {وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[٥٧] فهذه معجزات أربع :

١- خلق طير من الطين ٢- إبراء الاكمه والابرص

٣- إحيـاء المـوتى . ٤- الانبـاء بمـا هـو مجهـول مـن طعـامهم ومدخراتهم(٥٨)

(وقوله : {وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} مذكراً لهم {أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ}و كذلك كان يفعل صوراً من الطين على شكل طير، ثم ينفخ فيه فيطير عياناً باذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله{ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ } قيل : إنه الذي يبصر نهاراً ولا يبصر ليلاً ، وقيل : بالعكس ، وقيل : الاعشى وقيل : الاعمش ، وقيل : هو الذي يولد أعمى وهو الأولى لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي (والأبرص) معروف { وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ } قال : كثير من العلماء : بعث الله تعالى كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه فكان الغالب على زمان موسى - عليه السلام - السحر وتعظيم السحرة : فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار ، وحيرت كل سحار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار ، وأما عيسى - عليه السلام - فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على احياء الجماد ؟ أو على مداواة الاكمه والأبرص ؟،وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد ، وكذلك محمد (صلى الله عليه وسلم) بعث في زمان الفصحاء والبلغاء وتجاويد الشعراء وأتاهم بكتاب من الله عز وجل فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وما ذاك إلا أن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق ابداً ، وقوله: وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ } أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن وما هو مدخر في بيته لغد)(٥٩) .

والذي نراه أن معجزات عيسى في صميمها تتفق مع طبيعة مولده ، فمعجزاته من نوع مولده ترمي إلى أحياء الناحية الروحية وإقامة الدليل على وجود الروح ، تلك التي أنكرها أكثر بني اسرائيل فخلق شكل طير من الطين لا حراك فيه ، ثم ينفخ فيه فيتحرك ويطير مع ان مادته لم يزد عليها شيء ، معناه أن زيادة جديدة طرأت ، وهذه الزيادة ليست مادية قط ، فلا بد أن تكون روحية ، وجسم الميت الذي لا يتحرك ولا يعي ، يصبح بعد دعوة عيسى حياً واعياً دون زيادات مادية عليه ، فمعنى ذلك وجود الروح (٦٠) .

ونحن نغض الطرف عن تلك الخرافات التي التصقتْ بمعجزات عيسى التي لا تستند إلى دليل شرعي ولا عقلي فالله سبحانه أخبر أنه كان يحيي الموتى ،

ولكنه لم يذكر كم من الأموات أحياهم وما تذكره الأناجيل من تلك الخرافات نحن لا نقرها البتة .

وأما المعجزة الخامسة فهي إنزال المائدة التي طلبها الحواريون ، وقد ورد ذكرها في قوله تعالى : {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * {قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ }[٦١] .

(ومضمون ذلك : أن عيسى – عليه السلام - أمر الحواريين صيام ثلاثين يوماً ، فلما أتموها سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وأجاب طلبهم ، وتكون لهم عيداً يفطرون عليها يوم فطرهم وتكون كافية لأولهم وآخرهم لغنيهم وفقيرهم ، فوعظهم عيسى - عليه السلام - في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك ربه عز وجل ، فلما لم يقلعوا عن ذلك قام الى مصلاه وصف بين قدميه وأطرق رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال أن يُجابوا إلى ما طلبوا .

فأنزل الله تعالى مائدة من السماء والناس ينظرون اليها تنحدر بين عمامتين وجعلت تدنو قليلاً قليلاً ، وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلامة ، فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى - عليه السلام - وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول : ((بسم الله خير الرازقين)) فإذا عليها سبعة في الحيتان وسبعة أرغفة ،ويقال : خل ، ويقال : رمان وثمار ، ولها رائحة عظيمة جداً ، قال الله : كوني ، فكانت .

ثم أمرهم بالاكل منها ، فقالوا : لا نأكل حتى تأكل ، فقال : انكم الذين ابتدأتم السؤال لها ، فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء ، فأمر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى وكانوا قريباً من ألف وثلاثمائة فأكلوا منها فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن ، فندم الناس على ترك الاكل منها لما رأوا من اصلاح حال أولئك ، ثم قيل : إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس منها ، يأكل آخرهم كما يأكل أولهم حتى قيل إنها كان يأكل منها نحو من سبعة آلاف .

ثم كانت تنزل يوماً بعد يوم ، كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يوماً بعد يوم ، ثم أمر الله تعالى عيسى ان يقصرها على الفقراء او المحاويج دون الاغنياء فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك ، فرفعت بالكلية ومسخ الذين تكلموا في ذلك خنازير) [٦٢].

المطلب الخامس : عيسى ودعوته للحواريين :

من أهم مهمات الأنبياء والرسل الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى فمن الناس من يستجيب إلى ندائهم ومنهم من يعترض ، وهذه سنة جارية في دعوات الرسل والانبياء فالذين يجيبون دعوته يطلق عليهم أنصار الله تعالى ورسوله أو حواريون ، والذين أجابوا دعوة عيسى عليه السلام هم الحواريون فقاموا بالدعوة قيام الأنبياء وكانوا ينتشرون في بقاع الارض لنشر تعاليم المسيحية كما أمرهم الله ورسوله عيسى ، فقال تعالى : { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } (٦٣) .

(أي استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال : من أنصاري الى الله ؟ قال مجاهد أي من يتبعني إلى الله تعالى وهذا أقرب ،والظاهر أنه اراد من أنصاري في الدعوة الى الله تعالى كما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : ((في مواسم الحج قبل ان يهاجر ، من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي)) حتى وجد الأنصار فأووه ونصروه وهاجر إليهم فواسوه ومنعوه من الأسود والاحمر. وهكذا عيسى ابن مريم عليه السلام! انتدب له طائفة من بني اسرائيل فآمنوا به وآزروه ونصروه وأتبعوا النور الذي أنزل معه ولهذا قال تعالى مخبراً عنهم : { قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ ..... }الحواريون قيل : كانوا قصارين ، وقيل : سموا بذلك لبياض ثيابهم ، وقيل : جبارين والصحيح أن الحواري أي الناصر { كْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } أي مع أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) (٦٤) .

وقال تعالى : {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ } (٦٥) . والمراد بهذا الإيحاء او الوحي هو الإلهام وليس الوحي الذي ينزل على الأنبياء خلافاً للمتبادر إلى الذهن .

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآَمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ } (٦٦) .

(يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين ان يكونوا أنصار الله تعالى في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله تعالى ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال : { من أنصاري الى الله } أي من معيني في الدعوة إلى الله عز وجل ؟{ قال الحواريون } وهم أتباع عيسى - عليه السلام - { نحن أنصار الله } أي نحن أنصارك على ما أرسلت به ومؤازروك على ذلك ،

ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيلين واليونانيين ، وهكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يفعل ذلك في ايام الحج كما تقدم ذلك من قبل ، وقوله تعالى : { فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ } أي بلغ عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - رسالة ربه إلى قومه ووازره من وازره من الحواريين اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوتهُ ورموه وأمه بالعظام وهم اليهود عليهم اللعنة المتتابعة الى يون القيامة)[٦٧] وهذا كله قبل تأمر اليهود عليه بالقتل والصلب المزعومين.

<u>المبحث الثاني : نهاية المسيح في الارض ونفي الألوهية عنه في الاسلام .</u>

<u>المطلب الأول : التآمر على المسيح ونهايته على الأرض .</u>

التآمر على الرسل واتباعه قائمة إلى يوم الدين لأنه صراع بين الحق والباطل وبين أهل الخير وأهل الشر ، ومن أشد الناس عداوة للأنبياء والأديان الأخر واتباعهم هم اليهود ،وهنا نبين أموراً جديرة بالايضاح والأهمية وهي : -

<u>أولاً : اليهود ودعوة المسيح :</u>

لا يخفى على كل منصف بأن اليهود من أشد الناس عداوة للأنبياء ومن أكثرهم اتهاماً لهم باتهامات فاضعة وفاحشة ، لم يسلم منهم الأحياء ولا الأموات ، فمن الممكن ان يتعرض اليهود إلى دعوة المسيح بالرد والرفض ، وذلك ديدنهم تجاه جميع الدعوات ،ولهذا (كانت دعوة المسيح تحارب اتجاهين تأصلا عند اليهود هما : -

١- شغفهم بالمادة وإهمالهم الجانب الروحي بالكامل .
٢- إدعاؤهم أنهم شعب مختار ،وادعاء أحبارهم أنهم الصلة بين الله تعالى والناس وبدونهم لا تتم الصلة بين الخالق والمخلوق .

وبسبب هذا الموقف تعرض عيسى الى عداء بني إسرائيل وسخطهم ولم يؤمن به إلا قليلون منهم ، فقد انتظروه مسيحياً يبسط سلطان بني اسرائيل على العالم أجمع ، ولكن خابت آمالهم فيه ، ثم عندما رأوا أن بعض الضعفاء اتبعوه ، خافوا أن تنتشر مبادئه ، فأغروا به الحاكم الروماني ، ولكن الرومانيين كانوا وثنيين ، ولم يكونوا على استعداد للدخول في الخلافات الدينية بين اليهود ،ولم تكن دعوة المسيح التي أعلنها إلا إصلاحاً خلقياً ودينياً فلم تتصل دعوته بالسياسة ،ولم تمس الحكومة من قريب أو من بعيد ،ولذلك لم يستحق غضب الرومان ، ولكن اليهود تتبعوا عيسى لعلهم يجدون منه سقطة تثير عليه غضب الرومان ، فلما لم يجدوا تقولوا عليه وكذبوا ، فأغضبوا الحاكم الروماني على عيسى لتنفيذ الحكم عليه كما اوردنا من قبل وكان عيسى قد لجأ إلى ضيعة ليحتمي بها ، ولكن الخائن يهوذا الاسنريوطي أحد الحواريين ، كان قد اتفق مع زعماء اليهود على أن يدلهم

على مكمنه نظير ثلاثين قطعة من الفضة وتسلم هذا الخائن هذا المبلغ ، وقاد جند الرومان إلى حيث وجدوا المسيح ، ولما كان جند الرومان لا يعرفون شخصية المسيح ، فقد ذكر الخائن لهم علامة هي قوله : (الذي سأقبله هو هو امسكوه) (٦٨) .

ولكن الأمر انعكس تماماً فألقى الله تعالى الشبه أي شبه عيسى وملامحه تماماً على الخائن المذكور ، فأصبح الدليل هو المدلول عليه ، فتقدم جند الرومان لكي يقبضوا على المسيح فقبضوا على الخائن الشبيه لعيسى وارتج عليه ، أو اسكته الله تعالى فلم يتكلم حتى نفذ فيه حكم الصلب (٦٩) .

على الرغم من هذه المكيدة والحيلة التي دبرها الخائن لعيسى إلا أن قدرة الخالق قد تدخل في الموضوع وحسم الأمر حيث نجاه الله من تلك المؤامرة وأنسل من بين المجتمعين فلم يحس به أحد ، كما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى : { وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ }.

ثانياً : من هو الخائـن؟ :

الذي ذكرناه من الخائن فيما سبق هو اتجاه مسيحي ، وليس هناك مراجع إسلامية تذكر تلك الشخصية الخائنة ، إلا أنه كان أحد الحواريين الاثني عشر ، وهدف المسيحيين بذلك هو إثبات الصَّلب للمسيح ونجاح تلك المؤامرة ، وبأن يهوذا كان حياً بعد صَلب عيسى ، ثم بعد ذلك ندم على ذلك وخنق نفسه .

وهذا الزعم باطل عند المسلمين ، لأن هدفهم من ذلك إثبات حقيقة الصَّلب للمسيح نفسه ، وقد نفى القرآن الكريم ذلك صراحة ، ولو سلمنا بان يهوذا كان حياً بعد تلك الحادثة فمن المفترض أن يكون الخائن شخصاً آخر مع أن المسلمين لم يحـددوا شخصية الخـــــائن (٧٠).

(والظاهر أن الدفاع عن يهوذا مصطنع قام به بعض الذين شملهم الخجل من هذه الخيانة التي قام بها أحد الحواريين ، وإذا جاز لنا أن نجري بعض المقارنة فإننا نذكر القارئ أن زعماء المسلمين كانوا في حالات متعددة ، يضعون أنفسهم لمواجهة المخاطر حتى ينجو الرسول ، وقد حدث ذلك في غزوة أُحد وغزوة حنين ، كما حدث قبل ذلك عندما بات الإمام علي في سرير الرسول ليلة الهجرة ، وهو يعرف أن من يبيت في هذا السرير يواجه الموت من الاعداء المتربصين بصاحب البيت) (٧١) .

ثالثاً : مستقر عيسى ـ عليه السلام ـ بعد النجاة من المؤامرة ؟

لم نحصل على المراجع الموثقة التي تتكلم عن المسيح ونجاته عقب تلك المؤامرة في تحديد المكان الذي إتجه إليه بعد المؤامرة واختفى معه أخباره أو ترك

تلك المنطقة وهو فلسطين لأن بقاءه فيها كان معناه أن يعثر عليه اليهود والسلطة الحاكمة آنذاك في يوم من الأيام ، وأن ينفذوا فيه الحكم الذي صدر عليه ، وعلى كل حال فإنه اختفى عقب نجاته واختفت معه اخباره ، وزعم بعضهم بأنه هاجر إلى الهند وهذا القول ينقصه التأكيد والوثائق والبراهين .

رابعاً :مصير أتباعه بعد غيابه - عليه السلام - :

إن المسيح عليه السلام لما رفعه الله إلى السماء تفرقت أصحابه شيعاً بعده فمنهم من آمن بما بعثه به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته ،ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله ، وآخرون قالوا هو الله وآخرون قالوا : هو ثالث ثلاثة ، وقد حكى الله تعالى مقالهم في القران الكريم وردّ على كل فريق فاستقروا على ذلك قريباً من ثلثمائة سنة ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له : قسطنطين فدخل في دين النصرانية قيل : حيلة ليفسده ربما لأنه كان فيلسوفاً ، وقيل : جهلا منه إلا أنه بدَّل لهم دين المسيح وحرّفه وزاد فيه ونّقص منه ووضعت له القوانين والأمانة الكبرى التي هي الخيانة الحقيرة وأحل في زمانه لحم الخنزير ، وصلوا إلى المشرق وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع ، وزاد في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون وصار دين المسيح دين قسطنطين إلى أن بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثني عشر ألف معبد وبنى المدينة المنسوبة إليه واتبعه طائفة منهم وهم في هذا كله قاهرون لليهود وأيده الله تعالى عليهم لأنه أقرب الى الحق منهم ، وان كان الجميع كفاراً فلما بعث الله تعالى محمداً (صلى الله عليه وسلم) فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق ، فكانوا هم اتباع كل نبي على وجه الأرض) [٧٢]

المطلب الثاني :مصير عيسى - عليه السلام - بعد النجاة وحقيقة رفعه ونزوله:

اختلف العلماء حول كيفية رفعه عليه السلام ، وهل رفع بجسمه وروحه إلى السماء أم رفع بروحه فقط بعدما استوفى أجله على الارض كسائر الأنبياء ، يرى السلف الصالح أنه - عليه السلام - رفع بروحه وجسده ، ولكن المفكرين المعاصرين قد رجحوا الرأي الثاني وهو رفع روحه فقط ، وسنعرض أدلة الفريقين ونناقشها ، ثم نبين الرأي الراجح في ذلك .

١- قوله تعالى : {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً } [٧٣] .

٢- وقوله تعالى : { إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ .... } (٧٤) .

٣- ما ورد في صحيح مسلم من أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حاكماً عادلاً مقسطاً ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير)) (٧٥) .

٤- ما ورد في صحيح مسلم من أن عيسى سينزل في آخر الزمان فيقتل المسيح الدجال (٧٦) .

<u>* مناقشة هذه الأدلة وردها من قبل المفكرين المسلمين .</u>

يناقش جمهور المفكرين المسلمين هذه الأدلة بقولهم : إن عيسى بعد أن نجا من اليهود عاش زمناً حتى استوفى أجله ، ثم مات ميتة عادية ورفعت روحه إلى السماء مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء ، وقد ورد النص برفع عيسى – مع أن روحه سترفع بطبيعة الحال ، لأنه نبي – تكريماً لمكانته بعد التحدي الذي واجهه من اليهود ، فذكر الله تعالى نجاته ، ثم مكانته التي استلزمت رفع روحه .

ويقولون عن الآية الأولى : { بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ } إنها تحقيق الوعد الذي تضمنتهُ الآية الثانية : { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ .... } فإذا كان قوله تعالى : {بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ } خلا من ذكر الوفاة والتطهير واقتصر على ذكر الرفع فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكر في قوله : { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ } جمعاً بين الآيتين (٧٧) .

والملحوظ لدى هؤلاءِ العلماء بأن الرفع الوارد في الآية الكريمة يراد به رفع المكانة ويدل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم بهذا المعنى كثيراً ، قال تعالى :

١- {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ }(٧٨) .
٢- { نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء }(٧٩) .
٣- {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ }(٨٠) .
٤- { وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً }(٨١) .
٥- { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ }(٨٢) .

(فالتعبير بقوله : { وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } وقوله : { بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ } كالتعبير في قولهم : لحق فلان بالرفيق الأعلى ، وفي{ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا }(٨٣) وفي {عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ}(٨٤) ، وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول في الكنف المقدس ، وهناك آية كريمة أقوى دلالة من آيات الرفع ، ولكنها مع هذا لا تعني سوى خلود الروح لا الجسم ، وهي قوله تعالى : {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * {فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ

وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }(٨٥) . مع أن الآية قررت أنهم احياء فليس معنى هذا حياة الجسم فجسم الشهيد قد وري الثرى مع انها قررت أنهم عند ربهم وأنهم { يُرْزَقُونَ } .. فليس المقصود هو العندية المكانية ، ولا الرزق المادي ، وإنما المقصود تكريم الروح بقربها من الله تعالى قرب مكانة والاستمتاع باللذائذ استمتاعاً روحياً لا جسمانياً) (٨٦) .

وعن الحديثين يجيب الباحثون بإجابتين : -

أولاً : الحديث من أحاديث الأحاد وهي لا توجب الاعتقاد ، والمسألة هنا اعتقادية . ثانياً : الحديثان فيهما كلمة واحدة عن رفع عيسى بجسمه ، وقد فهم الرفع من نزول عيسى ، فاعتقد بعض الناس أن نزول عيسى معناه ، أنه رفع وسينزل ، وهكذا قرر هؤلاء أن عيسى رُفع لمجرد ان في الحديثين كلمة ينزل ، مع أن اللغة العربية لا تجعل الرفع ضرورة للنزول ، فإذا قلت : نزلت ضيفاً على فلان ، فليس معنى هذا أنك كنت مرتفعاً ونزلت ، وإذا رجعنا الى مدلول هذه الكلمة (نزل وأنزل) في القرآن الكريم ، وجدنا أنه لا يحتم ان يكون معناها النزول مع ارتفاع ، بل قد يكون معناها ، جعل ، أو قدر ، أو وقع ، أو منح ، قال تعالى :

١- { وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ}(٨٧) أي جعلنا في الحديد قوة وبأساً .

٢- {وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ }(٨٨) أي قدر لي مكاناً طيباً .

٣- {فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاء صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ }(٨٩) أي وقع .

٤- { وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ }(٩٠) أي منحكم وأعطاكم (٩١) .

بل بالغ بعض هؤلاء العلماء حتى أنهم قالوا : بأن الدجال المذكور في الأحاديث التي تدل على أن عيسى سيقتله فإنه ليس إلا رمزاً للخرافات والدجل ، وقد وجد ذلك وسيوجد عدة مرات ، وهو يزول بشريعة الإسلام الغراء ، وبالقرآن الكريم والحديث وجهود العلماء والمفكرين وعلى هذا فلا وجود لما يسمى المسيح الدجال وهو الرأي الذي يرتضيه اكثر العلماء على حسب ظنهم (٩٢) .

أما جواب هؤلاء عن هاتين الآيتين فهو كما يأتي :

١- {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}(٩٣)

٢- {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ }(٩٤)

والظاهر أن هؤلاءِ في تفسيرهم للآيتين قد بالغوا في حمل ألفاظه على ما لا تتحمله ألفاظ ولا أساليب اللغة العربية ، حيث اعتبر هؤلاءِ : (ان الضمير في ((به)) لعيسى وفي ((موته)) لأهل الكتاب ، والمعنى أنه ما من أحد من أهل الكتاب يدركه الموت حتى تنكشف له الحقيقة عند حشرجة الروح فيرى أن عيسى رسول ورسالته حق ، فيؤمن بذلك ، ولكن حيث لا ينفعه إيمان) (٩٥) .

وأما عن الآية الثانية ، فيرى بعض المفسرين أن الضمير في((إنه)) راجع الى محمد (صلى الله عليه وسلم) أو إلى القرآن الكريم وإن كان المراد به عيسى ليس معناه أن عيسى سيعود للنزول بل المعنى أو وجود عيسى في آخر الزمان ((نسبياً)) دليل على قرب الساعة وشرط من أشراطها أو أنه بخلقه بدون أب أو بإحيائهِ الموتى دليل على صحة البعث(٩٦).

والظاهر أن هذا تكلف في تحميل نصوص القرآن ما لاتتحمل ، لان الآية صريحة في أن المراد به عيسى ، لأن الحديث في الآيات السابقة كان عنه على ما سيأتي بيانه في موضعه بالتفصيل .

واستدل هؤلاءِ على جملة أخرى من الأدلة التي يراد بها رفع روحه لا جسمه وهو كما يأتي مع ذكر أقوال العلماء الموافقين لمذهبهم ، قال تعالى:

١- {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }(٩٧) .

٢- { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }(٩٨) .

يقول الامام الرازي في تفسير الآية الأولى ({إِنِّي مُتَوَفِّيكَ}أي منهي أجلك{وَرَافِعُكَ} أي رافع مرتبتك ورافع روحك إليَّ ، { وَمُطَهِّرُكَ } أي مخرجك من بينهم ، ومفرق بينك وبينهم ، وكما عظم شأنه بلفظ الرفع وكل هذا يدل على المبالغة في إعلاء شأنه وتعظيم منزلته ، ثم قال : هو رفع الدرجة والمنقبة لا المكان والجهة ، كما أن الفوقية في هذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة والمكانة) (٩٩) .

ووافقه الآلوسي في تفسيره(١٠٠)على ذلك المعنى المشار إليه ، وكذلك ابن حزم الظاهري حيث حمل الوفاة على المعنى الحقيقي ، وهي تعني الموت الحقيقي واعتبر أن صرف الظاهر عن حقيقته لا معنى له ، وأن عيسى- عليه السلام - بناء على هذا مات (١٠١) .

ومن العلماء المعاصرين الذين اختاروا هذا الرآي هو ، الامام محمد عبده ، ومحمود شلتوت ، ومحمد رشيد رضا ، والأستاذ أمين عز العرب ، والاستاذ محمد أبو زهرة ، والشيخ المراغي ، والأستاذ عبد الوهاب النجار ، والأستاذ محمد الغزالي ، وصلاح أبو اسماعيل (١٠٢) ، ووافقهم في مذهبهم هذا سيد قطب عند تفسيره للآية الأولى من الآيات الثلاث السابقة إذ قال : (لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه ، وأراد الله تعالى أن يتوفاه وفاة عادية ففعل ، ورفع روحه كما رفع

أرواح الصالحين من عباده ، وطهره من مخالطة الذين كفروا ، ومن البقاء بينهم وهم رجس ودنس) [١٠٣] .

٣- وقوله تعالى حكاية عن عيسى : {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً }[١٠٤] .

الآية واضحة في الدلالة على أن عيسى ككل البشر يولد ويموت ويبعث وكل ما يخالف ذلك تحميل للفظ فوق ما يحتمل ، وكذلك استدلوا بآية أخرى وهي قوله تعالى :

٤- {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ }[١٠٥] ، وهو خطاب للنبي (صلى الله عليه السلام) بعدم جعل أحد قبله حياً وعيسى واحد منهم ، ومال إلى هذا الرأي في عدم رفع روحه وجسده معاً الأستاذ أحمد شلبي في كتابه [١٠٦]

.

٢- أدلة القائليـــــن برفعه - عليه السلام - بالروح والجسد معاً والرد على مخالفيهم في ذلك :-

١- قال الله تعالى : {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }[١٠٧] .

اختلف العلماء ولاسيما المفسرين في هذه الآية ، فذهب قتادة وآخرون إلى أن هذا من المقدم والمؤخر ، وتقديره :أني رافعك إلي و متوفيك ، يعني بعد ذلك وعن ابن عباس: إني متوفيك أي مميتك ،وقال مطر الوراق : إني متوفيك في الدنيا وليس بوفاة موت ، وكذا قال ابن جرير: توفيه هو رفعه ، وقال الاكثرون : المراد بالوفاة هنا النوم .

وهذا القول هو أصوبه كما قال تعالى : {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ}[١٠٨] ، وقال تعالى : {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا }[١٠٩] ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اذا قام من النوم قال ((الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا))[١١٠] الحديث . كذا قال الحسن في قوله : {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} بأنه وفاة المنام ،رفعه الله تعالى في منامه .

وقال أيضاً : قال رسول الله (صلى الله عليه سلم) لليهود : ((إن عيسى لم يمت وأنه راجع إليكم قبل يوم القيامة)) [١١١] وقوله تعالى : {وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ}[١١٢] أي برفعي إياك إلى السماء .

وقد اختار ابن كثير في تفسيره رأي الجمهور القائلين بان التوفي في الآية هو الانامة واستدل على ذلك بآيتين من القرآن ورد فيهما التوفي بمعنى النوم كما ذكرناها كما استشهد لذلك بالحديث الذي يسمي النوم إماتة واليقظة إحياء ، وكذلك

أيده بقوله تعالى : {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ }[١١٣] قال : والضمير في قوله: {قَبْلَ مَوْتِهِ } عائد على عيسى - عليه السلام - : أي وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى ، وذلك ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة على ما سيأتي بيانه – فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم ، لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الاسلام [١١٤] .

ونحن نرى مع ابن كثير أن هذا الرأي هوالذي يجب المصير اليه في فهم الآية لأنه هو الذي يتسق مع ما أمر به القرآن من رد المتشابه إلى المحكم ليفهم معناه ولفظ التوفي هنا متشابه ، لأنه يحتمل التوفي بالموت . والتوفي بالنوم ، والتوفي بمعنى القبض والاستيفاء _ الخ _ ولكن لفظ الرفع إلى الله محكمٌ وصريح في معناه وتأويله برفع الروح أو رفع المكانة الحاد في الآية تحريفٌ للكلم عن مواضعه : وإذا تبين هذا فالذي يناسب الرفع إلى الله من معاني التوفي هو التوفي بمعنى الانامة لا الإماتة ، إذ لا معنى لرفعه الى الله ميتاً ،مع أن المراد بالرفع هو تطهيره من اليهود وانجاؤه من مكرهم حين أرادوا قتله ، وعلى تقدير التوفي بالإماتة لا تكون تلك البشارة بالتطهير والانماء قد تحققت ، بل يكون قد أعان اليهود على قصدهم ، وهو أن يتخلصوا من عيسى - عليه السلام - اما بالموت أو بالقتل !

وكيف يُفهم قوله تعالى : {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ }[١١٥] على تفسير التوفي بالاماتة ، وهل المناسب لمكر الله تعالى المقابل لمكر اليهود أن يقتله هو قبل ان يقتلوه ؟ أو ان يرفعه إليه حياً لينزل في آخر الزمان فينتقم من هؤلاء الذين كادوا له وآذوه ويقاتلهم على الاسلام وحده فمن أبى منهم روي الأرض من دمه ، ومن اسلم نجاه إسلامه وليس في الروايات التي أوردها ابن كثير مما فيه تفسير التوفي بالإماتة رواية صحيحة تستحق الأخذ بها [١١٦] .

فلم يبق من المعاني الصحيحة في تفسير الآية إلا ثلاثة تفاسير : -

١- رأي الجمهور الذي اختاره ابن كثير ورواه عن الحسن ، وهو الرأي الذي يفسر التوفي بالنوم.
٢- رأي قتادة : وهو أن في الكلام تقديماً وتأخيراً ، والتقدير أني رافعك ومتوفيك أي بعد النزول .
٣- رأى ابن جرير [١١٧] في أن المراد بالتوفي هو نفس الرفع ،والمعنى : أني قابضك من الارض ومستوفيك ببدنك وروحك . .

وهذه الأقوال الثلاثة متفقة على أنه رفع حياً ، وإن كان بعضها أصح وأولى بالقبول من بعض ، فأصحها الاول ،وهو قول الجمهور ، ويليه قول قتادة ويليه قول ابن جرير ،والله أعلم) [١١٨] .

وقال ابن كثير : (فأخبر تعالى – وذلك بعد ذكر الآية – أنه رفعه إلى السماء بعد ما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به) [١١٩] .

٢- قوله تعالى : {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً } [١٢٠] .

والآية صريحة في تكذيب هؤلاءِ اليهود الزاعمين أنهم قتلوه أو صلبوه ، وكذلك في رفعه حياً ، لأنه ذكر الرفع وانبته مكان الذي نفاه من القتل والصلب ،والتعبير القرآني بذكر الرفع في مقابل نفي القتل والصلب عنه هو حسن في البراعة والتركيب ، لأن الذي يناسب نفي القتل والصلب عنه هو رفعه حياً لا موته ، وإلا لقال : وما قتلوه وما صلبوه بل الله هو الذي أماته وهذا ينافي مقصود مكر الله تعالى مقابل مكرهم [١٢١] .

(وكيف يتوهم متوهم أن المراد بقوله تعالى : {بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ } هو رفع روحه ، وهو إنما ذكر لابطال ما زعموه من قتله وصلبه ورفع الروح لا يبطل القتل والصلب بل يجامعهما فأنهم لو قتلوه – فرضاً – لرفعت روحه إلى الله تعالى ، على ان في اخباره عز وجل بانه رفعه إليه ما يشعر باختصاصه بذلك الذي يمكن أن يختص به عيسى هو رفعه حياً بجسده وروحه ، لأن أرواح جميع الأنبياء – بل المؤمنين – ترفع إلى الله تعالى بعد الموت ، لا فرق بين عيسى وغيره ، فلا تظهر فيه الخصوصية ، ثم ختم الآية بقوله : { وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً }يدل على أنه مشهد تجلت فيه عزة الله وحكمته ،ولا يتم ذلك إلا حيث يكون المشهد غريباً مثيراً فأي غرابة أو إثارة في موته ثم رفع روحه ، وهو كما قلنا عام في جميع المؤمنين) [١٢٢] .

٣- قال الله تعالى : {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً } [١٢٣] .يعني قبل موت عيسى .

قال ابن جرير: (إختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ } يعني قبل موت عيسى (عليه السلام) .

يوجه ذلك الى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال ، فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية ، دين إبراهيم – عليه السلام - .

وقال أبو مالك في الآية السابقة : إن ذلك عند نزول عيسى ، قبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام لا يبقى أحد من أهل الكتاب الا آمن به ، وكذلك قال الحسن : إن ذلك قبل موت عيسى ، ثم قال : والله إنه الآن حي عند الله ، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون) [١٢٤] .

والذي نختاره من هذه الأقوال هو رجوع الضمير لمحمد (صلى الله عليه وسلم) او لعيسى - عليه السلام - وهو ما اختاره ابن كثير كما نقل ذلك عن ابن جرير : أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزوله إلا آمن به قبل موت عيسى – عليه السلام – ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح ، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك إلى أن قال : بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى - عليه السلام - وبقاء حياته في السماء ،وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليُكذب هؤلاءِ وهؤلاءِ من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ، ففرط هؤلاء اليهود وأفرط هؤلاءِ النصارى تنقصه اليهود بما رموه وأمه من العظائم ، واطرأه النصارى بحيث إدعوا فيه ما ليس فيه فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى الربوبية تعالى الله عما يقول هؤلاءِ وهؤلاءِ علواً كبيراً وتنزه وتقدس لا اله الا هو [١٢٥] .

فيما مر معنا من الأدلة تبين أن احتمال عود الضمير في (موته) على الكتابي ضعيف ، واحتمال عوده في (به) على غير عيسى باطل ،والاحتمالات الضعيفة والباطلة لا تنهض للحجية ولا تقوى اللاستمساك فتكون الآية الكريمة نصاً في حياة عيسى ونزوله بمعونة ما ذكر .

(واللفظ يكون نصاً بنفسه تارة وبما ينضم إليه من القرائن تارة أخرى وليس كل احتمال في اللفظ يؤثر في نصيته كما يتوهم ممن لم يُحكموا قواعد علم الأصول) [١٢٦]

وقد استدل هؤلاءِ بآيات أخر دالة على نزول عيسى في آخر الزمان ، فقال تعالى في بشارة مريم بعيسى - عليه السلام -

١- {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ }[١٢٧] وقال تعالى مخاطباً عيسى.

٢- {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً } [١٢٨] .

روى ابن جرير عند تفسير الآية الأولى : عن ابن وهب قال : سمعت ابن زيد يقول في قوله : {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ } قال : قد كلمهم عيسى في المهد وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يؤمئذ كهل ، وقال ابن زيد في قوله : {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ }[١٢٩] قال : متوفيك قابضك ، قال : متوفيك ورافعك واحد ، قال : ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال وسيموت وتلا قول الله عز وجل : {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ}[١٣٠] . قال : رفعه الله تعالى قبل أن يكون كهلاً ، قال :وينزل كهلاً[١٣١] .

وهذا الذي نقلناه عن ابن جرير هو قول عامة أهل التفسير ، كلهم يفسرون الآية به ، ويجعلونها دليلاً على نزول عيسى - عليه السلام - وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه ، فان قوله سبحانه : {وَكَهْلاً }معطوف على متعلق الظرف قبله داخل معه في حكمه ، والتقدير : يكلم الناس طفلاً في المهد ويكلمهم كهلاً ، فإذا كان كلامه في حالة الطفولة عقب الولادة مباشرة آية فلا بد أن المعطوف عليه وهو كلامه في حال الكهولة كذلك ، وإلا لم يُحتج إلى التنصيص عليه ، لأن الكلام من الكهل أمر مألوف معتاد ، فلا يحسن الإخبار به ، لاسيما في مقام البشارة ، بل لا بد أن يكون المراد بهذا الخبر أن كلامه كهلاً سيكون آية ككلامه طفلاً ، بمعنى أنه سيرفع إلى السماء قبل أن يكتهل ثم ينزل فيبقى في الارض إلى أن يكتهل ويكلم الناس كهلاً .

وقد ذهب جمهور المتحدثين والمؤرخين إلى أنه - عليه السلام - رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وأنه سيمكث في الأرض إذا نزل أربعين سنة كما جاء في الحديث الصحيح (١٣٢) .

٢- قال الله تعالى : {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً } (١٣٣) .

وقد تكلمنا عن هذه الآية كما قلنا ذلك عن ابن جرير بأن أولى الأقوال منها بالصحة هو كون الضمير في قوله : {قَبْلَ مَوْتِهِ} لعيسى عليه السلام ولا يبقى أحد من ذلك الزمان من أهل الكتاب الموجودين حينئذ إلا آمن به وصدقه ، وكون الضمير راجع إلى عيسى يكون نزوله أمراً بديهياً لا شك فيه ، فإن أهل الكتاب لن يصعدوا إلى السماء ليؤمنوا به ،ولكنه هو الذي سينزل إلى الأرض كما صرحت الأحاديث الصحيحة المتواترة بذلك (١٣٤) .

٣- قال الله تعالى : {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ } (١٣٥) .

والآية واضحة على نزول عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة ، وذلك لأن السياق يدل على ذلك فمن غير الجائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهرة من القرآن أو خبر عن الرسول تقوم به حجة والصحيح أنه أي الضمير في ((وإنه)) عائد على عيسى وأنه نازل قبل يوم القيامة وأن ذلك آية للساعة أي أن خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة وتحقق أشراطها (١٣٦) .

وأما الأحاديث في نزول عيسى - عليه السلام - فكثيرة ذكرها الدكتور محمد خليل في كتابه ((فصل المقال)) (١٣٧) وعدها نحو خمسة عشر حديثاً ، نذكر بعضاً منها : - .

١- روى الشيخان : عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال : رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)) [١٣٨] هذا لفظ البخاري .

٢- وروى الشيخان أيضاً في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعاً : ((كيف أنتم ومعلوم لدى كل مسلم أن ما اتفق عليه الشيخان يعد بعد كتاب الله عز وجل وأوثقه اذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ؟)) [١٣٩] .

من المفيد أن نورد ما ذكره الهراس في كتابه (فصل المقال) رداً على السيد شلتوت ومنه تبعه من قبل الغماري حيث يقول بعد أن أورد الأحاديث الدالة على نزول سيدنا عيسى - عليه السلام - .

هناك أحاديث كثيرة تدل بمجموعها على أن ما ذهب إليه القائلين برفعه - عليه السلام - حياً الى السماء ، وسوف ينزل في آخر الزمان هو الأقرب للصواب . وللأسباب الآتية : -

١- الأحاديث الصريحة الكثيرة الدالة على نزول عيسى في آخر الزمان وكذلك الآيات الواردة فيها برفع عيسى - عليه السلام - ونزوله .

٢- إن لفظ التوفي في الآية متشابه ، لأنه يحتمل التوفي بالموت ،والتوفي بالنوم والتوفي بمعنى القبض والاستيفاء – الخ – وجب رد المتشابه إلى المحكم ليفهم معناه ، وتأويله تكلف وخروج عن المألوف والمفهوم من لغة العرب .

٣- إن ذكر الرفع في مقابل نفي القتل والصلب لا يفيد سوى نجاته حياً ، لأن الذي يناسب نفي القتل والصلب عنه هو رفعه حياً لا موته ، وإلا لقال : وما قتلوه وما صلبوه بل الله تعالى هو الذي أماته .

٤- إن ولادته من غير أب معجزة فحياته كانت كلها معجزة فمن المفترض أن يكون وفاته على خلاف المألوف للعادة ليظهر كمال القدرة الالهية في خلق انسان بلا أب ولا أم وهو آدم وبخلق انسان بلا أب وهو عيسى وكأن الله ادخر لنا تلك المعجزة التي افتتن بها غيرنا ليختبرنا كذلك بها ، وتلك آية من آياته مصدقاً لقوله تعالى : {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً}[١٤٠] آية لنا ولهم أيضاً .

المطلب الثالث : شخصية المسيح في الاسلام :

شأن عيسى - عليه السلام - كشأن غيره من الأنبياء والمرسلين في فكر الإسلام فهو عبد الله ورسوله أيده الله بالمعجزات وأنزل عليه الكتاب فهو ليس ابن الله ولا هو إله ولا ابن زنا كما قال اليهود ،وإنما هو عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ،وهؤلاءِ هم الناجون المثابون والمؤيدون المنصورون وهم المؤمنون الموحدون ، ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون ، وقد توعدهم الحكيم العليم بقوله : { فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ }(١٤١) ، وهكذا : (جاء القرآن الكريم ليعطي عيسى - عليه السلام - صورته الحقيقية التي شوهها المشركون والمثلثون وأعطى القرآن الكريم عيسى الإجلال والتقديس الذي جحده من أرسل إليهم) (١٤٢) وهذه حقيقة واضحة في الإسلام لأن (المسيح كان يعرف نفسه دائماً بأنه عبد الله المطيع ويدعو الناس الى التوحيد الخالص ذلك كما قال تعالى على لسان المسيح : {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ } (١٤٣) فلم يدّع المسيح مطلقاً الالوهية أما ما أطلق عليه المسيحيون فهو من مبتدعاتهم ومخترعاتهم .

لقد كان عيسى - عليه السلام - كغيره من الأنبياء إنساناً يوحى إليه اختاره الله تعالى لهداية الناس إلى الصراط المستقيم وإذا كانت له بعض المعاجز فإن لغيره من الأنبياء معاجز أيضاً واذا كان قد ولد من دون أب فان آدم من قبل خلق من دون أب وأم ولكنا لا نجد من المسيحين من يسبغ عليه صفة الألوهية ، يقول القرآن الكريم : {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ }(١٤٤) ، بمعنى أنهما كانا يحتاجان لكل اللوازم ((الحياتية)) كأي أنسان آخر) (١٤٥) .

(وتتأكد عبودية عيسى في كل موقف ، فهو ليس الله ولا ابن الله ،وهو بشر سيمضي كما سيمضي سواه ،وهو يبشر بمحمد (صلى الله عليه وسلم) الذي سيأتي بعده ،ولكنه رسول الله جاء ليؤدي مهمة ويبلغ رسالة تهيئ لما بعدها (١٤٦) : {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ }(١٤٧) .

(هذه الحقيقة التي جاءت واضحة في كلام الله تعالى في القرآن المجيد مطابقة تماماً للمنطق والعقل إذ إن الإنسان الذي لا يملك من عند نفسه حولاً أو طولاً ويحتاج مثل باقي الناس والأنبياء للوازم الحياة البشرية مثل الغذاء والنوم ، هذا الإنسان لا يستحق بحكم العقل أن يعبد مطلقاً ،وعليه فبحكم العقل ، وبتصديق من القرآن المجيد ، وبناء على ما صرح به الإنجيل الحالي للمسيحيين – أنجيل

مرقس – وحسب قول المؤرخين الكبار : فإن عيسى - عليه السلام - كان عبداً ورسولاً لله تعالى وأنه لم يدَع الإلوهية لنفسه مطلقاً) [١٤٨] .

والمسيح نفسه يؤكد ويعلن أمام الكافرين عبوديته لله عز وجل ، ويقرر ذلك صراحة حتى يكون في إقراره شهادة تدين من كفر ، كما يبين لهم جزاء من يشرك {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ } [١٤٩] .

ويصدر التهديد الإلهي على الذين ينكرون الحق الذي يعرفونه تماماً ،والنهي عن المغالاة في الدين ، فقال تعالى : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً * لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً}[١٥٠] .

وهذا نهي من الله تعالى لهؤلاءِ النصارى الذين غلو وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد فكان عليهم الاعتقاد بأنه عبد الله ورسوله وابن امته العذراء التي أحصنت فرجها ، وسمي عيسى بروح الله ، لانه كان بها من غير أب وهي الكلمة أيضاً التي عنها تخلق وبسببها وجد [١٥١] ، كما قال تعالى : {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[١٥٢] وقال تعالى : {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [١٥٣] .

وبعد هذه التأكيدات من عيسى عبوديته لله تعالى ، وإقراره بذلك أمام من كفر ، إلا أن اتباعه اختلفوا فيه كما سبق بعد أن رفعه الله تعالى اليه ، فطائفة من ضلالهم وجهالهم زعموا ان المسيح هو الله تعالى ،وطائفة قالوا : هو ابن الله ،وطائفة قالوا : هو ثالث ثلاثة ، جل الله ، مصدقاً لقوله تعالى : {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[١٥٤] .

ولهذا نجد في القرآن الكريم كثيراً من هذه الأقوال الدالة على تناقضهم وقلة علمهم وكثرة جهلهم ، وقد تنوعت أقوالهم في كفرهم ، وذلك أن الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض [١٥٥] ، ولهذا رد الله على هؤلاء في القرآن رداً بين فضاحتهم وكشف ستارهم وجعلهم كفاراً ، فقال تعالى : {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا

يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٥٦] فأخبر تعالى عن كفرهم وجهلهم وبين أنه الخالق القادر على كل شيء وأنه ربّ كل شيء ومليكه وإلهه .

وقال في أواخرها : {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ }[١٥٧] .

هذا هو المسيح في فكر الاسلام ، عبد الله ورسوله ، (وقد خوطب عيسى في القرآن الكريم بالاسم في خمسة مواضع إلا أنه خوطب ايضاً بألقاب تكريم مثل (ابن مريم) و (المسيح) و (عبد الله) و (رسول الله) ويشار إلى عيسى - عليه السلام - بأنه (كلمة الله) و (روح الله) و (آية الله)) [١٥٨] .

في آخر هذه السورة الكريمة يقول المولى مبيناً كفرهم : {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[١٥٩]

(يخبر تعالى أنه يسأل عيسى ابن مريم - عليه السلام - يوم القيامة على سبيل الإكرام له والتقريع والتوبيخ لعابديه ممن كذب عليه وافترى وزعم أنه ابن الله ، وانه الله او أنه شريكه تعالى الله عما يقولون فيسأله وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله عنه ولكن لتوبيخ من كذب عليه ـ ويقول : ما قلت غيرما امرتني عليه حين ارسلتني إليهم وأنزلت علي الكتاب الذي كان يتلى عليهم وأنا اعترف بانك خالقي وخالقهم ورازقي ورازقهم فلما رفعتني إليك حين ارادوا قتلي وصلبي فرحمتني وخلصتني منهم وألقيت شبهي على أحدهم حتى انتقموا منه فلما كان ذلك : { كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } .

ثم قال على وجه التفويض إلى الرب عز وجل والتبري من أهل النصرانية : {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ }أي وهم يستحقون ذلك { وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } وهذا التفويض والإسناد إلى المشيئة بالشرط لا يقتضي وقوع ذلك ، ولهذا قال {فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ولم يقل : الغفور الرحيم [١٦٠] .

المطلب الرابع : عيسى ومهمته في الارض بعد نزوله :

بعد أن بينا مسألة رفع عيسى - عليه السلام - إلى السماء وتطرقنا الى آراء العلماء في ذلك نقف عند نزوله قبل قيام الساعة وقد آخذ الموضوع في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيزاً كبيراً دالة على نزول عيسى في

وقت تشتد فيه فتنة الدجال ، ويضيق الأمر بالمؤمنين في ذلك الزمان حينئذ ينزل الله تعالى عبده ورسوله عيسى – عليه السلام – وينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حديث طويل : ((اذ بعث الله عيسى ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق)) [١٦١] .

وقت نزول عيسى : (عليه السلام) : -

يكون نزوله في وقت اصطف فيه المقاتلون المسلمون لصلاة الفجر ، وتقدم امامهم للصلاة ، فيرجع ذلك الإمام طالباً من عيسى أن يتقدم فيؤمهم فيأبى) [١٦٢] ، ففي الحديث ((وإمامهم (أي إمام الجيش الاسلامي) رجل صالح ، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح ، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح ، فرجع ذلك الإمام ينكص ، يمشي القهقري ليتقدم عيسى ، فيضع عيسى يده بين كتفه ، ثم يقول له : تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصل بهم إمامهم)) [١٦٣] وقال أيضاً ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال :فينزل عيسى ابن مريم ، فيقول اميرهم : تعال صل لنا ، فيقول : لا ،إن بعضكم على بعضٍ أمـــراء ، تكرمة الله هذه الامة)) [١٦٤]

بم يحكم عيسى - عليه السلام - بعد نزوله : -

(النصوص السابقة صريحة في أن الإمام هو واحد من هذه الأمة وأن عيسى - عليه السلام - يحكم فيهم كتاب الله تبارك وتعالى ،والسبب في عدم تقدم عيسى بن مريم للإمامة هو الدلالة على أنه جاء تابعاً لهذا النبي (صلى الله عليه وسلم) حاكماً بالقرآن لا بالإنجيل فان شريعة القرآن ناسخة للشرائع قبلها ، وقد أخذ الله تعالى العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد(صلى الله عليه وسلم) ويتابعوه إذا بعث وهم أحياء : {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }[١٦٥] ، فعيسى ينزل تابعاً لرسولنا(صلى الله عليه وسلم) محكماً لشريعة القرآن الكريم ، ولذلك فإنه يصلي خلف ذلك الرجل ، وهذا فخر لهذه الأمة وأي فخر) [١٦٦] .

قضاء عيسى (عليه السلام) على الدجال :

إن (أول عمل يقوم به عيسى هو مواجهة الدجال ، فبعد نزول عيسى يتوجه إلى بيت المقدس حيث يكون الدجال محاصراً عصابة المسلمين ، فيأمرهم عيسى بفتح الباب ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((فإذا انصرف ، قال عيسى : افتحوا الباب ، فيفتحون ووراءه الدجال ، معه سبعون الف يهودي

،كلهم ذو سيف محلي وساج ، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً .. فيدركه عند الباب الشرقي فيقتله ، فيهزم الله اليهود ..)) (١٦٧) والسر في عدم ترك عيسى الدجال حتى يموت بنفسه – هو إنهاء أسطورة هذا المخلوق وفتنته ، فإن الناس اذا شاهدوا قتله وموته استيقنوا أنه عبد ضعيف مغلوب على امره ، وأن دعواه كانت زوراً وكذباً) (١٦٨) .

مهمة عيسى بعد القضاء على الدجال واهلاك يأجوج ومأجوج : -

(يقضي عيسى على الدجال وفتنته ، ويخرج يأجوج ومأجوج في زمانه – كما سيأتي بيانه – فيفسدون في الأرض إفساداً عظيماً ، فيدعو عيسى ربه ، فيستجيب له ، ويصبحون موتى ، لا يبقى منهم أحد ،وعند ذلك يتفرغ عيسى للمهمة الكبرى التي أنزل من أجلها ، وهي تحكيم شريعة الإسلام ، والقضاء على المبادئ الضالة ، والأديان المحرفة ، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ،ويضع الحرب ،ويفيض المال ، حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)) (١٦٩) وحينما يخرج يأجوج ومأجوج ، يدعو عيسى ربه عندما يشتد عليهم الأمر ، فيستجيب الله تعالى لـه ،ويهلك يأجوج ومأجوج (١٧٠) كما ذكره مسلم (١٧١) .

بقاء عيسى - عليه السلام - في الارض : -

مدة بقاء عيسى - عليه السلام - في الأرض أربعون سنة كما ورد بذلك الأحاديث الصحيحة فعن أبي هريرة ((فيمكث في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى ،ويصلي عليه المسلمون)) (١٧٢) وهو في ذلك مقيم لحكم الإسلام ، مصل إلى قبلة المسلمين (١٧٣) .

والمستخلص من النصوص الواردة في شأن عيسى يكون على ما يأتي : -

١- أن عيسى - عليه السلام - نازل لا محالة في آخر الزمان والنصوص في ذلك متواترة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فالتكذيب بنزوله تكذيب للرسول(صلى الله عليه وسلم) في خبره ، وخبر الرسول صدق لا كذب فيه .
٢- ان عيسى يأتي ليحكم شريعة القرآن الكريم .
٣- أنه يقضي على الاديان ،ولا يقبل من أحد إلا الإسلام .
٤- عموم الرخاء ،وسيادة السلام والأرض في ذلك الزمان (١٧٤) .

الخاتــمة

من المعروف أن الأناجيل المسيحية لم تتكلم عن حياة المسيح فحياته فيها الكثير من الغموض وعدم الإيضاح فولادته كانت معجزة فلا بد أن تكون نهايته على الأرض معجزة ،ولهذا نحن أيضاً لم نعتمد على كثير من المصادر الإسلامية التي تتكلم عن حياة المسيح ، وذلك لعدة أسباب منها تأثر كثير من الكتاب المسلمين بأقوال وعلماء بني اسرائيل فنقلوها حرفياً ووضعوها في مؤلفاتهم،ولهذا حاولنا على قدر المستطاع أن نغض الطرف عن بعض هذه الكتب لنضع الشيء في موضعه خوفاً من الغلو والإنحراف،وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية :

١- إن العلاقة بين ولادة المسيح وقصة زكريا علاقة وثيقة كاللازم والملزوم وتعتبر قصة زكريا تمهيداً لبيان حقيقة ولادة المسيح .
٢- نسب مريم - عليها السلام - في بني إسرائيل من أشرف الأنساب في ذلك الزمان ، لأنها كانت من عائلة طاهرة وهم (آل عمران) ولا خلاف بانها تنحدر من سلالة داوود ، وكان أبوها صاحب صلاة بني إسرائيل ، وما اصطفاء الله تعالى منهم واختيارهم أنبياء إلا دليل على صلاحية ذلكم البيت الطاهر الطيب .
٣- إن مريم - عليها السلام - كانت من العابدات القانتات الملازمات لبيت المقدس الخادمة البريئة من التهمة الشنيعة التي أُلصقتْ بها بهتاناً وزوراً ، وإنما كانت ذلك امتحاناً من الله تعالى لها ولهم .
٤- إن المشكلة الكبيرة التي واجهت مريم هي مشكلة الولد من غير أب حيث أخذت ذلك مأخذ العجب وحق لها التعجب من ذلك ، لأنها لا زوج لها ، ولا هي ممن تتزوح فأخبرتها الملائكة بأن الله تعالى قادر على ما يشاء إذا قضى امراً فإنما يقول له: كن فيكون ، فسلمتْ لأمر الله عز وجل ، وذلك كله على الله تعالى هينٌ .
٥- وقد حُسم الخلاف حول أخُ مريم الذي يدعى هارون وكان مشهوراً بالدين والصلاح والخير خلافاً للمزاعم بأن هارون المذكور في الآية هو هارون أخو موسى وهذا خطأ ، لان موسى قبل عيسى بالفٍ من السنين .
٦- إن اليهود قد اتهموا أمها بأبشع التهم ، وكذلك حاولوا قتل ابنها وصلبه وذلك ديدن اليهود وعاداتهم أمام دعوة الرسل ورسالاتهم .
٧- إن مريم صاحب ولاية وكرامة وليست نبية ، والوحي الوارد لها هو وحي إلهام وليس هو الوحي الذي يلقى إلى الانبياء وإلا لصح حينئذ أن نقول : بأن النحلة أيضاً كانت نبية وهذا محال .
٨- إن ولادة المسيح كما هو الشائع في الفكر الاسلامي كانت بـ " بيت لحم قريباً من بيت المقدس ."

٩- إن الله أيد سيدنا عيسى - عليه السلام - بالمعجزات الخارقة للعادة من خلق طير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص ،وإحياء الموتى وإعلامهم بما هو مجهول من طعامهم ومدخراتهم وانزال المائدة من السماء لهم ، وكانت معجزاته من جنس ما هو شائع آنذاك بين قومه من الطب والحكمة إلا أن الغالب من معجزاته تتفق مع طبيعة مولده فكانت من نوع مولده ترمي إلى إحياء الناحية الروحية وإقامة البرهان على وجود الروح .

١٠-إن الدعوة لا تقوم بفرد واحد واليد الواحدة لا تصفق ولا بد لكل داع لدعوته من انصار وأعوان وحوارين ، وهذا من طبيعة الدعوات فكانت أنصار عيسى هم الحواريون كما أطلق عليهم القرآن الكريم .

١١-كانت دعوة المسيح تحارب اتجاهين تأصلا عند اليهود هما الاشتغال بالمادة واهمال الجانب الروحي وادعائهم بأنهم شعب الله المختار ، وبسبب هذا الموقف تعرض عيسى إلى عداء بني إسرائيل وسخطهم ، ولم يؤمن به الا قليلون منهم وتآمروا على قتله وصلبه .

١٢-تفرقت أتباع المسيح بعده شيعاً وفرقاً فمنهم بقي على توحيده ومنهم من قال : إن عيسى هو الله ومنهم من قال : هو ابن الله وهكذا ، وهذا شيء طبيعي بالنسبة لبني إسرائيل ، لأنهم ما كانوا ليؤمنوا بالأنبياء وهم بين أظهرهم مع وجود الحجج والبراهين على صدق دعواهم فكيف هم يؤمنون بهم وهم مختفون عنهم .

١٣-بعد النجاة من المؤامرة المدبرة من اليهود رفعه الله تعالى إليه بروحه وجسده لأن ذلك هو الذي يتفق مع طبيعة هذا النبي الذي كانت بدايته كلها معجزة فلا بد ان تكون نهايته على الأرض معجزة .

١٤-إن عيسى في فكر الاسلام هو عبد الله ورسوله وابن أمته وليس هو الله ولا ابن الله .

١٥-تكمن مهمة عيسى بعد نزوله إلى الأرض في أُمور منها تحكيم شرع الإسلام والقضاء على الدجال ، وإهلاك يأجوج ومأجوج وبكسر الصليب ، وبقتل الخنزير وغير وذلك من الامور .

١٦-إن العيش في زمن نزوله إلى الأرض تكون عيشة هنيئة فذة في تاريخ الانسانية ويعم الرخاء والسلام والأمن حينئذ .

الهوامش

(١) سورة الأنبياء ، الآية / ٩١ .
(٢) سورة البقرة، الآية /٨٧ .
(٣) سورة مريم ، الآية /١٧ .

(٤) سورة الشعراء، الآية /١٩٣ .
(٥) سورة المعارج ، الآية ٤ .
(٦) سورة القدر ، الآية /٤ .
(٧) سورة النحل ، الآية /٣ .
(٨) سورة غافر ، الآية /١٥ .
(٩) سورة الشورى ، الآية /٥٢ .
(١٠) سورة الإسراء ، الآية /٨٥ .
(١١) سورة الحجر ، الايتان / ٢٨-٢٩ .
(١٢) سورة ص ، الايتان /٧١-٧٢ .
(١٣) سورة الأنبياء ، الآية /٩١ .
(١٤) سورة التحريم ، الآية / ١٢ .
(١٥) ينظر : ((مقارنة الأديان)) (المسيحية) (٢/٤٣-٤٥) .
(١٦) سورة آل عمران ، الآية /٥٩ .
(١٧) مقارنة الأديان المسيحية ٢/٤٥-٤٧ .
(١٨) سورة آل عمران ، الآية / ٣٣-٣٧ .
(١٩) ينظر ((قصص الأنبياء)) :(٢٥٢٥) .
(٢٠) ((العقيدة الاسلامية وأسسها)) : (٤٩٤)
(٢١) ينظر ((قصص الأنبياء)) : (٥٢٥) و ((العقيدة الاسلامية)) (٤٩٤).
(٢٢) رواه البخاري / تحت رقم (٥٤٧٠) .
(٢٣) رواهُ البخاري رقم الحديث (٤٥٤٨) .
(٢٤) ينظر ((قصص الانبياء)) : (٥٢٧) و ((العقيدة الاسلامية)) (٤٩٥).
(٢٥) سورة آل عمران ، الآية / ٤٤ .
(٢٦) سورة آل عمران ، الآية /٣٨ .
(٢٧) وهذا من أقوى الأدلة على نزول عيسى في آخر الزمان خلافاً لمنكري ذلك على ما سيأتي .
(٢٨) ابن كثير ((قصص الأنبياء)) (٥٢٩) بتصرف .
(٢٩) ينظر : المصدر السابق : (٣٥٠-٥٣١) .
(٣٠) سورة مريم ، الآية ١٦-٣٦ .
(٣١) ((قصص الأنبياء)) لحسن أيوب: (٢٠٩) .
(٣٢) ((قصص الأنبياء)) : (٥٢٥) .
(٣٣) المصدر السابق ، (٥٣٨) .

(٣٤) المصدر السابق ، (٥٣٨) .
(٣٥) سورة آل عمران ، الآيتان ٤٥-٤٦.
(٣٦) سورة مريم ، الآية /٢٢ .
(٣٧) ينظر ((العقيدة الاسلامية)) : (٥٠١-٥٠٢) .
(٣٨) ينظر : ((قصص الأنبياء)) : (٥٤٠) .
(٣٩) ينظر : ((قصص الأنبياء)) : (٥٤٠-٥٤١) و ((العقيدة الاسلامية)) : (٥٠٢)
(٤٠) ينظر : ((قصص الأنبياء)) : (٥٤٢) .
(٤١) ((مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها)) د: ليلى : (٢٦٥) .
(٤٢) مسلم تحت رقم (٢١٣٥) والترمذي تحت رقم (٣١٥٥) .
(٤٣) ((قصص الأنبياء)) : (٥٤٣) .
(٤٤) سورة مريم ، الآيتان / (٣٠-٣٣) .
(٤٥) ((العقيدة الاسلامية)) : (٥٠٣) .
(٤٦) سورة النساء ، الآية / ١٥٦ .
(٤٧) سورة مريم ، الآيتان / ٣٤-٣٥ .
(٤٨) سورة آل عمران ، الايات ٥٨-٦٣ .
(٤٩) سورة مريم ، الآية /٣٦ .
(٥٠) ((قصص الأنبياء)) لابن كثير: (٥٤٤-٥٤٥) بتصرف
(٥١) سيأتي مطلب خاص حول نفي ألوهية عيسى وإثبات العبودية له إن شاء الله تعالى .
(٥٢) ((قصص الأنبياء)) لابن كثير : (٥٥٣-٥٥٤) .
(٥٣) سورة المؤمنون ، الآية /٥٠ .
(٥٤) ينظر : ((تفسير القرآن العظيم)) : (٢٤٦/٢) و ((قصص الانبياء)) : (٥٥٦-٥٥٧) .
(٥٥) ((قصص الأنبياء)) لابن كثير : (٥٥٧) .
(٥٦) احمد شلبي ((المسيحية)) :(٤٩) .
(٥٧) سورة آل عمران ، الآية /٤٩ .
(٥٨) ينظر : ((المسيحية)) : (٥٠) .
(٥٩) ((تفسير القرآن العظيم)) : (٣٦٤/١-٣٦٥) .
(٦٠) ((المسيحية)) : (٥٢) .
(٦١) سورة المائدة ، الآيات / ١١٢-١١٥ .
(٦٢) قصص الانبياء : لابن كثير(٥٦٩-٥٧٠) وينظر أيضاً : ((تفسير القرآن العظيم)) (١١٦/٢-١١٧)

(٦٣) سورة آل عمران ، الآيات /٥٢-٥٣ .
(٦٤) ((تفسير القرآن العظيم)) : (٣٦٥/١) بتصرف يسير .
(٦٥) سورة المائدة ، الآية / ١١١ .
(٦٦) سورة المائدة ، الآية /٧
(٦٧) تفسير القرآن العظيم ٣٦٥/١ .
(٦٨)المسيحية : احمد شلبي (٥٣ ، ٤٥) بتصرف .
(٦٩) ينظر تفسير البيضاوي (٢٧٧/٢) .
(٧٠) المسيحية ، ٥٥ .
(٧١) المصدر السابق ، ٥٦ .
(٧٢) تفسير القرآن العظيم ٣٦٦/١ .
(٧٣) سورة النساء ، الآية ١٥٧-١٥٨ .
(٧٤) سورة آل عمران /٥٥ .
(٧٥) المسند المستخرج على صحيح مسلم ٢١٩/١(٣٨٠) ،وصحيح ابن حبان ٢٣٠/١٥ .
(٧٦) صحيح مسلم :كتاب الفتن وأشراط الساعة ٠ باب ذكر الدجال وصفته وما معه رقم الحديث (٢٩٣٧) .
(٧٧) المسيحية : ٥٧ .
(٧٨) سورة النور ، الآية /٣٦ .
(٧٩) سورة الأنعام ، الآية /٨٣ .
(٨٠) سورة الانشراح ، الآية /٤ .
(٨١) سورة مريم ، الآية /٥٧ .
(٨٢) سورة المجادلة ، الآية /١١ .
(٨٣) سورة التوبة ، الآية /٤٠.
(٨٤) سورة القمر ، الآية /٥٥ .
(٨٥) سورة آل عمران ، الآية /١٦٩-١٧٠ .
(٨٦) ((المسيحية)) : (٥٨-٥٩) .
(٨٧) سورة الحديد ، الاية /٢٥ .
(٨٨) سورة المؤمنين ، الآية /٢٩ .
(٨٩) سورة الصافات ، الآية /١٧٧ .
(٩٠) سورة الزمر ، الآية /٦ .
(٩١) ينظر : ((المسيحية)) : (٥٩-٦٠) .
(٩٢) ينظر : ((المصدر السابق)) : (٦٢) .
(٩٣) سورة النساء ، الآية /١٥٩ .

(٩٤) سورة الزخرف ، الآية / ٦١ .
(٩٥) ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب: (٨٠٣/٢) .
(٩٦) ينظر : ((المسيحية)) (٦١) .
(٩٧) سورة آل عمران ، الآية /٥٥ .
(٩٨) سورة المائدة ، الآية /١١٧ .
(٩٩) ((تفسير الفخر الرازي)) : (٦٩/٤) .
(١٠٠) ينظر ((روح المعاني)) : (١٧٩/٢-١٨٠) .
(١٠١) ينظر : ((الفصل في الأهواء والملل والنحل))(عند الكلام في المسيحية) : (٢) .
(١٠٢) وقد جمع أقوالهم أحمد شلبي في ((المسيحية)) : (٤٦-٦٩) فراجع إليه .
(١٠٣) ((في ظلال القرآن)) : ((٤٠٣/١)) .
(١٠٤) سورة مريم ، الآية /٣٣ .
(١٠٥) سورة الأنبياء ، الآية /٣٤ .
(١٠٦) ينظر كتابه : ((المسيحية)) : (٦٩-٧٠) .
(١٠٧) سورة آل عمران ، الآية /٥٥ .
(١٠٨) سورة الأنعام ، الآية/٦٠ .
(١٠٩) سورة الزمر ، الآية /٤٢ .
(١١٠) جزء من حديث حذيفة – رضي الله عنه - ، رواه البخاري في كتاب الدعوات ، (باب ما يقول إذا أصبح) تحت رقم (٦٣١٢) .
(١١١) رواه ابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير في التفسير : (٣٦٦/١) والحديث مرسل .
(١١٢) سورة آل عمران ، الآية /٥٥ .
(١١٣) سورة النساء ، الآية /١٥٩ .
(١١٤) ينظر : ((تفسير القرآن العظيم)) : (٣٦٦/١) .
(١١٥) سورة آل عمران ، الاية / ٥٤ .
(١١٦) محمد خليل هُراس : ((فصل المقال في رفع عيسى - عليه السلام - حياً ونزوله وقتله الدجال)) (١٠)
(١١٧) ((جامع البيان)) : (٤٦١/٦) .
(١١٨) ((فصل المقال)) : (١١-١٢) .
(١١٩) ((قصص الأنبياء)) (٥٧٩) .
(١٢٠) سورة النساء /١٥٧-١٥٨ .
(١٢١) ينظر : ((فصل المقال)) : (١٢-١٣) .

(١٢٢) المصدر السابق : (١٣-١٤)
(١٢٣) سورة النساء ، الآية /١٥٩ .
(١٢٤) ((جامع البيان)) : ((٢٥/٤)) .
(١٢٥) ينظر : ((تفسير القرآن العظيم)) : (٥٧٧/١) .
(١٢٦) ((إقامة البرهان)) للغماري ، نقلاً عن كتاب ((فصل المقال)) : (١٨).
(١٢٧) سورة آل عمران ، الآية /٤٦ .
(١٢٨) سورة المائدة ، الآية /١١٠ .
(١٢٩) سورة آل عمران ، الآية /٥٥ .
(١٣٠) سورة آل عمران ، الآية /٣٦ .
(١٣١) ينظر : جامع البيان (٣/٣٩٤-٣٩٥) .
(١٣٢) ((فصل المقال)) : (٢٠) .
(١٣٣) سورة النساء ، الآية /١٥٩ .
(١٣٤) ((فصل المقال)) : (٢١) .
(١٣٥) سورة الزخرف ، الآية /٦١ .
(١٣٦) ينظر : ((تفسير القرآن الكريم) : (١٣٢/٤) .
(١٣٧) ص(٢٤-٤٤) .
(١٣٨) رواه البخاري في كتاب البيوع – باب قتل الخنزير ، تحت رقم (٤٦٤) ومسلم في كتاب الإيمان باب نزول عيسى (١٥٥) .
(١٣٩) البخاري ، باب نزول عيسى ، كتاب الأنبياء (١٦٠١) ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى (١٥٥) .
(١٤٠) سورة المؤمنون ، الآية /٥٠ .
(١٤١) سورة مريم ، الآية /٣٧ .
(١٤٢) ليلى حسن : ((مثل الذين حملوا التوراة)) : (٢٦٢) .
(١٤٣) سورة آل عمران ، الآية /٥١ .
(١٤٤) سورة المائدة ، الآية /٧٥ .
(١٤٥) ((دروس في أصول الدين)) : (١٣٧) .
(١٤٦) ((مثل الذين حملوا التوراة)) : (٢٦٨) .
(١٤٧) سورة الصف ، الآية /٦ .
(١٤٨) ((دروس في أصول الدين)) : (١٣٨) .
(١٤٩) سورة المائدة ، الآية /٧٢ .
(١٥٠) سورة النساء ، الآية / ١٧١-١٧٢ .
(١٥١) ينظر : ((قصص الأنبياء)) لابن كثير: (٥٤٨) .

(١٥٢) سورة آل عمران ، الآية /٥٩ .
(١٥٣) سورة التوبة ، الآية /٣٠ .
(١٥٤) سورة مريم ، الآية /٣٧ .
(١٥٥) ينظر : ((قصص الانبياء)) : (٥٤٩) .
(١٥٦) سورة المائدة ، الآية /١٧ .
(١٥٧) سورة المائدة ، الآية /٧٢ .
(١٥٨) قصص الانبياء : لابن كثير (٥٥٠) .
(١٥٩) سورة المائدة ، الأية (٧٢) .
(١٦٠) ((قصص الأنبياء)) : لابن كثير : ((٥٥١-٥٥٢) بتصرف قليل .
(١٦١) رواه ابن ماجه في سننه ، في كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال ، تحت رقم (٤٠٧٥) .
(١٦٢) ((العقيدة)) اليوم الآخر القيامة الصغرى)) للأشقر : (٢٦٠) .
(١٦٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال (٤٠٧٧/٢) .
(١٦٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ، تحت رقم (٢١٣٧) .
(١٦٥) سورة آل عمران ، الآية /٨١-٨٢ .
(١٦٦) ((القيامة الصغرى)) للأشقر :: (٢٦١-٢٦٢) بتصرف .
(١٦٧) أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال ، في حديث طويل : (٤٠٧٧/٢) .
(١٦٨) ((القيامة الصغرى)) : (٢٦٣-٢٦٤) بتصرف .
(١٦٩) صحيح البخاري (٤٦٤) وصحيح مسلم (١٥٥) .
(١٧٠) ((القيامة الصغرى)) : (٢٦٤-٢٦٥) .
(١٧١) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ، (٢١٣٧) .
(١٧٢) ابن ماجة (٤٠٧٧) .
(١٧٣) ينظر : ((القيامة الصغرى)) :(٢٦٩) .
(١٧٤) ينظر : المصدر السابق : (٢٦٦-٢٦٨) .

قائمة المصادر والمراجع

١- أنوار التنزيل وأنوار التأويل ، للامام القاضي ناصرالدين أبي سعيد عبدالله البيضاوي ، تحقيق الشيخ عبدالقادر عرفات ، ط١ ١٩٩٦ ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، ١٩٩٦ م ٠

٢- تفسير القرآن العظيم ، للامام الحافظ عمادالدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ١٩٦٩ ٠
٣- التفسير الكبير ، للامام الفخر الرازي ، دار احياء التراث العربي بيروت ط١،٢٠٠١ ، دار الكتب العلمية ٢٠٠٩ ٠
٤- في ضلال القرآن ، السيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط٧ ١٩٧٨ م ٠
٥- جامع البيان عن تأويله أي القرآن ، للامام ابن جرير الطبري دار الفكر ، للطباعة بيروت ط١ ١٩٩٥ م ٠
٦- الجامع الصحيح ، وهو سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى المكتبة التجارية ، مصطفى أحمد الباز ، مكة المكرمة
٧- دروس في أصول الدين ، تأليف لجنة التحرير،ترجمة محمد علي التسخيري، إيران ٠
٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة ابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي دار الفكر للطباعة ط١٩٩٧،١ ٠
٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٩٨٧ م ٠
١٠- سنن ابن ماجة ، للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة حققه (محمد فؤاد عبدالباقي) مطبعة دار احياء الكتب العربية ٠
١١- صحيح البخاري ، للامام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٧م ٠
١٢-صحيح مسلم ، للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ٢٠٠٠م ٠
١٣- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة بيروت – ١٩٩٣ ، ط٢ ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ٠
١٤- العقيدة الاسلامية وأسسها،للمؤلف عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني طهران ٩٧٩ م٠
١٥- العقيدة في ضوء الكتاب والسنة ، اليوم الآخر ، ((القيامة الصغرى)) للدكتور عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، الكويت ، ط١ ١٩٩١ م) ٠
١٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، للامام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ، دار القلم ، بيروت ٠

١٧- فصل المقال في : نزول عيسى (عليه السلام) وقتله الدجال ، محمد خليل هراس تحقيق وتعليق أبي الفداء السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم الأثري ، الدار السلفية للنشر ، القاهرة ، ط٢ ١٩٩٣ م ٠
١٨- قصص الأنبياء لإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، حققه وخرج أحاديثه لجنة التحقيق والنشر في دار الفيحاء ، قدم له عبدالقادر الارناؤوط مكتبة الفجر للطباعة ، ط١ ، ٢٠٠٣ م ٠
١٩- قصص الأنبياء ، قصص الصفوة المتازة الأنبياء الله ورسله ، لفضيلة الشيخ : حسن أيوب ، دار السلام ، القاهرة ، ط١ ٢٠٠٣ م ٠
٢٠- مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ، الدكتورة ليلى حسن سعد الدين ، الناشر دار الفكر ، عمان ، ط١ ١٩٨٤ م ٠
٢١- المسيح في الإسلام ، أحمد ديدات ، ترجمة وتعليق محمد مختار، طبعة مصر٠
٢٢- مقارنة الأديان ، المسيحية ، للدكتور أحمد شلبي ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١٠ ١٩٩٨ م٠

Abstract

The paper entitled ' Christ (p-b-u-h.) in the Islamic thought tackles the life of Christ (p-b-u-h.) and every thing related to him accurately before his birth and Zakaria's (p-b-u-h.) protection of Christ's mother . His earlier life and growing up are also dealt with . Although his life in the Bibles and the Holy Quran is characterized as vague , it differs from the lives of other prophets , as it all was the miracle of its forming in his mother's ' Maria ' womb , his birth , child hood , youth and his manhood until his being lifted to heaven . He (p-b-u-h.) , like other prophets and messengers , is God's slave and messengers who was sent by the Almighty to the sons of Israel and

supported him with great miracles and evidence for the truthfulness of his call . But when the Jews found that his message did not conform to their ambitions and what they assumed the coming of an angel who could defeat the enemies .

This prophet who said " He who slaps you on your right cheek , turn your left cheek to him ' and says , " love your enemies " contradicted their prediction . The Jews strongly resisted his call , supported those who opposited him and even they tried to kill and crucify him but the Almighty saved him by foiling their conspiracies . The paper examines the problems faced by Maria after pregnancy and studies the developments which occurred in his life , prophecy , miracles , his call fir the debators , the end of his life on earth and his being lifted to heaven . Moreover , the paper covers denying his acclaim to divinity and his descending onto earth , and his mission these .